الفنون

اذار

الجزء العاشر

السنة الثانية

AL-FUNOON

AN ARABIC REVIEW OF LITERATURE AND ARTS

Published Monthly by

Al-Funoon Publishing Co.

55 Broadway,

New York

ANNUAL SUBSCRIPTION $5.00



FEBRUARY 1917

VOL. II NO. 9

"Entered as second class - matter June 16, 1916, at the Post Office at New York, New York, under the act of March 3, 1879"

الفنون

مجلة ادبية تصدر مرة في كل شهر

رئيس تحريرها — نسيب عريضه

مدير اعمالها — راغب متراج

قيمة الاشتراك = خمسة ريالات اميركية لسنة ٠ وثلاثة ريالات عن نصف سنة ٠ وريال ونصف عن ثلاثة أشهر ٠ ونصف ريال عن شهر واحد ٠ والدفع سلفاً ٠

AL-FUNOON

55 BROADWAY

NEW YORK

السنة الثانية　　شباط سنة ١٩١٧　　الجزء التاسع

رأي صحافي

في عدد سوريا المنكوبة

★★★★★

(تكرم الرصيف الغيور جورج حداد صاحب جريدة « القلم الحديدي » في البرازيل بارسال هذه المقالة الى الفنون وفيها من الحمية الوطنية والعواطف الثائرة ما ينم عما في صدر كاتبها من الحماسة والغنى بالشواعر ٠)

الحزن الوطني

﴿ كتبت الساعة الثانية بعد نصف الليل ﴾

وصلني العدد الخامس من « الفنون » فابقيته مع غيره من الجرائد التي وصلتني في البريد برسم المطالعة ليلاً ٠ نمت في سريري وانهيت مهمتي بمطالعة الجرائد الاخرى باكثر سرعة ممكنة لاطالع عدد الفنون « عدد الجوع » عدد سوريا المنكودة الحظ !

كانت الساعة الثانية عشرة لما بدأت بمطالعة الفنون وقد هدأت رجل الانسان وضجات مدنيته المزعجة ٠ اول ما « دقيت » بمقالة « مات اهلي » فلم آتِ عَلَى آخرها حتى ظهر لي شبح الجوع — شبح الموت الابيض -- وقد وقف في آخر سريري ولكن بجسم شفاف جداً غير انه ظاهر لعين الحزن فارتعبت ورجفت حقيقة ثم استويت جالساً في سريري بعدما أمررت يدي على جبهتي وعيني محاولاً اطباقهما قليلاً لتغيير المنظر او للتلهي بالظلمة ولكني عدت ندمت عَلَى هذا وفتحتهما بسرعة أطالع « مهرجان الموت » ويا له من مهرجان وموت ٠ طالعت هذا المهرجان او بالحري « بروغرام » حفلة عرس تلك الصبية فلم آتِ عَلَى آخره ايضاً حتى انتقلت افكاري بسرعة تصور الالهة ٠ فطارت الى ربوع سوريا -- الى ربوع بلادي — الى الارض التي ولدتني فيها امي — فسمعت باذنيّ حفيف شجر الصنوبر في لبنان ورنات اجراس القرى من بعيد ٠ ثم خيل لي حقيقة وليس تصوراً اني اشاهد كروم العنب والتين اللبناني الابيض والصبايا مثل « سليمة » يقطفنه ويعرضنه عليّ لاكله بكرم حاتمي وضيافة شرقية وقلوب فرحة ٠ وسبب فرحها هو ان الغريب جبر خاطرها فتناول من هديتها ٠ ثم خيل لي ايضاً اني آكل الخبز المرقوق والبيض المقلي بالسمن او بزيت زيتون الالهة ! ثم سمعت صوت عمتي وبناتها يقلن لي لماذا لم تدعُ اصدقاءك ليأكلوا معنا ! وهل الاكل له قيمة هنا يا عمتي ? خيل لي ايضاً اني ارى الجبن الابيض مع خيار الحقل مكوماً في الاطباق المصنوعة من العيدان « والعيش يا من عاش » تصورت اني ارى اللحم معلقاً في الدكاكين والنـاس يشترونه ويشكونه في العيدان حيث يرجعون به الى البيت والخبز عَلَى الاطباق « تتناتشه » الكلاب اذ تركض به في السوق وصاحب الخبز الشرقي الكريم يقول « خليهم يأكلوا دفع بلاء » فهل دفع عنكم الله هذا البلاء ايها الاخوان المساكين ? تصورت كل هذا وكل تلك السعادة الشرقية والخيرات الوافية ولما جئت لاتصور الجوع

خانتني الروح التي لا تريد ان تنظر الى تلك الفظاعة الهائلة وعادت . فرجعت الى جسدي في سان باولو فلم اجد امامي الا شبح الموت الذي رأيته اولاً وقد تجسم اكثر فاكثر من مقالة المهرجان وخصوصاً لان الليل زاد في السكون حتى اذا وصلت الى صورة الطاعون للمصور الشهير بوكلن قبل مقالة الجوع للريحاني ارتعدت لان ما تصورته تصوراً رأيته مصوراً . فنهضت من السرير لاجلب سيكارة من جيبي وأدخنها لعلها تذهب عني بعض هذه الاشباح المقلقة : واذا بي ارى ابني الصغير الذي عمره ست سنوات نائماً في سريره . فوقفت اتأمله ثم تصورته يقول لي يا بابا بدي آكل !!

آه يا الهي ! ان الجمرة قد أحرقت الان لانها قد وضعت عَلَى اللحم !. فجمدت في مكاني كأني امرأة لوط او تمثال في متحف العاديات ونسيت السيكارة التي بين اصابعي وعلبة الكبريت التي في يدي الاخرى تأملت طويلاً في هذا المشهد فزاد هول المصاب وتصورت برابرة الاجانب يخطفون من فم هذا الغلام السوري لقمة الحياة فغضبت ولكن لوحدي وشتمت متهدداً بقبضة يدي السماء . ثم عادت تلك اليد فارتخت وانحلت تلك الاصابع فاستعملت عضلاتها المرتجفة للقبض عَلَى عود الكبريت واشعال السيكارة التي خرج دخان نفسها الاول من فمي كلعنة انون ازوف وعدت بانكسار الى سريري . وعدت الى مطالعة الفنون « والجوع » للريحاني فلم آتِ عَلَى آخر المقالة حتى تصورت هول الجوع حقيقة وكرهت الحياة والمآكل الطيبة ولعنت الانسانية التي لا تتألم مع الغير الا بالتجربة كما فعل هذا الوطني

انهيت المقالة فدقت الساعة الواحدة بعد نصف الليل فذكرني صوت رنتها المفرد برنة جرس الحزن . فلعنت الريحاني وجبران ونعيمه الذين احضروا اشباح الموت بمقالاتهم الى غرفتي ! حتى اذا وصلت الى « صبر ايوب » وثبت من السرير وعدت ايضاً الى جيبي لتجديد التدخين . ورأيت ابني الشبعان لم يزل نائماً فنسيت انه في البرازيل وان بطنه ملآن طعاماً جعله ان ينام نوماً هادئاً كهذا . ما هذا الهول وما هذه الضربة وماذا تشاهد الانسانية والعالم المتمدن عالم البرق والبخار وسرعة المواصلات ؟ كل هذا الاحتجاج باطل الاباطيل عدت الى سريري بانكسار وعدت الى مطالعة الفنون « وصبر ايوب » فضاق صدري وعيل صبري وانتت « انّة عاجز » عَلَى درب الصليب !! فاطبقت المجلة واطفأت النور وحاولت النوم ولكن كيف ومضجعي قد تحوّل الى شوك ومخدتي الناعمة الى حجارة صوّان حادة فنهضت مذعوراً ولعنت « الفنون » مرة اخرى واسرعت الى مكتبي وقد ساد سكون الليل . ودقت الساعة الثانية لما جلست فاخذت القلم ليس لاكتب بل لاصور شعوري ازاء هذه النكبة تصويراً لاني كنت حفاراً قبل ان امسك القلم . فرأيت نفسي عاجزاً عن تصوير حزني وتعاستي وقد بردت اصابعي حتى صارت كالثلج من البرد والحزن فكنت اكتب هذا واترك القلم من وقت لاخر لافرك راحتي ببعضها فركاً شديداً لاكتسب حرارة كاذبة كما اننا نحن السوريين القاطنين في القارتين الاميركيتين نكتسب تعزية فارغة وكاذبة بقولنا ان الموت في سوريا مبالغ فيه . فموت مئة وموت الف والوف من

الجوع في نظري على السواء ! فيا لك من مصاب ويا لكم من كتّاب ويا لكم من مصورين تصورون الحقيقة من الخيال وما الخيال المزعج الذي صورتموه لنا الا الحقيقة المخيفة · فصبراً يا بني الاوطان صبراً · انتم تموتون بالجسد واخوانكم ذوي الشعور فيما وراء البحار يموتون معكم بالروح فكلنا يا ابنآء الوطن واحد لنا وطن فرد وان تعددت بنا الاسماء

دقت الساعة الرابعة فصاح الديك وانتهت مقالة الحزن الوطني ·

جورج حداد

صاحب جريدة القلم الحديدي

حازت أكثرية التصويت الشهري لعدد كانون الاول مقالة « صباح العيد » لتوفيق حلال · وتلتها « الاباآء والبنون » لميخائيل نعيمه · وحازت الاكثرية في الشعر قصيدة « بالامس » لجبران خليل جبران

ادارة الفنون بحاجة الى الاعداد ال ١ و٢ و٤ و٧ من السنة الحالية فمن كان بغنى عنها فليتكرم بارسالها والادارة تدفع له الثمن مقايضة أو نقداً

نعلن القرآء ان ادارة تحرير المجلة لا تقسر الادبآء مساعديها في التحرير على اتخاذ مبادىء المجلة ونظراتها مبادىء ونظرات لهم يمشون بموجبها · ولذلك قد يحدث ان ننشر في المجلة أبحاثاً شتى فيها ما هو مضاد لارائنا في تقدير بعض الاشيآء أو انتقاد بعض الامور (نقلاً عن السنة الاولى من الفنون)

ماذا يقولون في الفنون

امامنا من مجلة الفنون الغراء العدد الخامس من السنة الثانية لصدورها وهو العدد المخصص لنكبة سوريا المفجعة اجاد في كتابته فريق من كتّابنا الافاضل فاوضحوا حالة سوريا لابنائها بصورة تزيد في النفس تأثراً على تأثرها فثناؤنا جزيل على همة منشىء هذه المجلة ·

(جريدة الوطن)

التوكومان

لا يصح معنا وايم الحق ان نسكت عن ذكر هذه المجلة الفنية الراقية العصرية التي قد بزغت في سماء حياتنا العربية فبددت غيوم التسكع في بوادي الجهل واسكتت بأنيق عباراتها ورقة تعابيرها وجمال روحها اطيار الخنوع وشحارير الضعف ·

ظهرت هذه المجلة في المهجر حاوية كل لذيذ من المقالات الشائقة والانتقادات اللطيفة المؤثرة ·

كيف يسعنا ان نهمل ما لميخائيل نعيمه من المقالات الانتقادية التي يصدرها عن صدر تغلي مراجله بنيران وطنية اصلاحية محضة · بل كيف نطالع مقالات جبران وقصائد مشرق وابي ماضي ولا نقول فيهم كلمة

سوف يكون لهذه المجلة شأن كبير في عالم الادب العربي اكثر بكثير مما هو كائن الان وسوف ينتبه شعبنا السوري الكريم الى اهميتها ويحلها المحل الاول ويناصرها بالاشتراك وافياً اقل من القليل من حقوقها عليه

ولا يمكن لواصف ان يقدم على وصفها لمن لم يطالع هذه المجلة بعد؛ ولكن وصفها هذا لا يُفهم الا اذا كان ساكتاً صامتاً في صدر كل من يطالعها ولا سبيل الا هذا السبيل وعبثاً يحاول الواصفون ·

فول رفر — ماس

(جريدة الانسانية)

الفنون هي بالحقيقة معرض أدب وكرمة علم وارتقاء · ولا اشك البتة بمنفعتها · وعندي ان من يمارس مطالعتها يجتني من اثمارها اليانعة ويستفيد علماً وادباً ·

سابراتون — وست فرجينيا

سليم مخول سمعان

الفنون ريحانة الرياحين بين مجلاتنا العربية ·

كليفلند — اوهايو

جورج اورفلي

ان جئت اظهر شدة استحساني للفنون اخاف ان لايبقى ورق في الاكوادور ولذلك اكتفي بقولي — والقول شريف صادق — ان الفنون افضل مجلة عربية ظهرت حتى اليوم ·

الفنون ستمثل دوراً جديداً لم تعرفه مجلة قبلها ولا جريدة — دوراً اشد تأثيراً في الاداب العربية واسطع نوراً في سماء التجديد واملي وطيد بهذا · وذلك لان الشعب العربي اليوم والسوري منه خصوصاً يحتاج الى غير ما احتاج اليه بالامس · الامة العربية اليوم تتوق الى حاجة واحدة فقط — الى روح وطنية متجسمة · هذه الروح الوطنية لا توجد في الاخبار التاريخية والاكتشافات العلمية بل في مجلة مترفعة ، حرة ، جديدة في كل شيء — في الفنون · كلما قرأت صفحاتها المرة بعد الاخرى شعرت بجولان تلك الروح بين السطور وأحسست بأمل بسام يتردد في صدور افراد هذه الامة التاعسة

فانا لمحبة الادب احب « الفنون » وافتخر بها وادعو لها بنجاح باهر وعمر خالد ·

غوايا كيل — الاكوادور

اسكندر دوماني

سابذل جهدي في خدمة هذه المجلة الرقيقة بل اجد خدمتها فرضاً واجباً على محبي اللغة العربية والمجلات الراقية ·

سان باولو — برازيل

صموئيل خوري

اما رأيي في الفنون فهذا ما لا يستطيع ان يعبر عنه قلمي · وجل ما اقوله انها المجلة الوحيدة التي افرغت لها مسكناً بقلبي لا شريك لها ··· وجدير بكل اديب واديبة مناصرتها وبكل بيت تزيينه بها · ولما يحين الثامن كل شهر اراقب ورود الفنون حتى ينفد صبري ولا احظى بمطلوبي · والظاهر انكم لا تخافون الله فتدعونا نتعذب مدة طويلة بانتظارها ·

غرينزبرغ — بنسلفانيا

نعمه منصور

تصفحت الفنون معجباً ومسروراً بما فيها من المقالات الشائقة والافكار الحرة · ولا شك عندي ان مجلة الفنون هي من ارقى المجلات العربية وقد وافق اسمها مسماها فلذلك تستحق المناصرة الاكيدة من عاشقي الفنون ومحبي الاداب ·

بوكاهونتاس — فرجينيا

سليمان قاسم ابي الحسن

هذه المجلة المحبوبة قد غرست فيّ روحاً جديدة

بروكلن — نيويورك   جميله خوري

يخطىء كل من يقول ان ليس في « الفنون » كل الفنون -- فنون الكتابة العصرية التي انا من عشاقها ·

فارس خليل

هوليوك — ماس   الغريب

اذا كان كل مشتركيكم مغرمين ومفاخرين بمجلتكم فمرامي وافتخاري ومحبتي لها اضعاف ما عندهم · فثابروا على خطتكم رغماً عن أنوف الحاسدين والناكرين فضل العلم ودعوهم وشأنهم ·

لانسنغ — مشيغن   نعمان حنا

لساني عن وصفا عجزان   لو كنت بذكا القرآن
قيدني من المشتركين   الداعي فارس شيبان

جويت ستي — [illegible] كتكت   فارس شيبان عرموني

اعتباري للفنون كبير ورغبتي في انتشارها اكبر وذلك لاعتقادي ان الانسان يستطيع بواسطتها ان يشتري افكار اكبر ادباء المهجر بخمسة ريالات · اما اللذة التي انالها من مطالعة الفنون فلا ادري كيف اصفها لانها اكبر من ان توصف ·

نجم الخوري

دانبري -- كنا كتكت   بولس

« بحكميك الصحيح » ان ما تحتويه « الفنون » الجميلة من المقالات الادبية الرائقة اللذيذة مما جعلني ان اكون مع الشكر من جيش المشتركين الى ما شاءت الظروف ·

فالنتين -- نبراسكا   انطون غصان

الحقيقة ان مجلة الفنون هي ارقى مجلة في عصرنا الحاضر · المجلات الاخرى هي نجوم واما « الفنون » فهي شمس تضيء في عالم الادب فتنير اشعتها سماء العلم من اقصاها الى ادناها · ومن لا يشترك بها فخسارته اعظم خسارة في عالم الادب والتهذيب · فعدوني مشتركاً بها ما دامت في الحياة وما دمت انا في عالم الوجود ·

نيوكاسل — بنسلفانيا   ديب الياس

... لا يقدر أحد ان يكافئكم مقابل ما حوته « الفنون » من الادب والعلوم التي تنزه بها الانفس وتستنير القلوب سوى الرب المنان · ولهذا اتوسل اليه تعالى ان يقدر عملكم هذا بادراره عليكم نعم السماء والارض...

ديترويت — مشيغن   محمد مصطفى سعيد

اسعدني الحظ بقراءة الفنون فتمنيت لو كانت لي قريحة احد كتابها كي افيض في وصف محاسن من فتنتني بحبها وتركتني هائماً كالسليمين الفاضلين (سليم ابوهاب وسليم رحال) · وتمثلت لي بشكل فتاة حسناء كما قال فيها ذلك الاديب في « الاخاء » · فامتثلت بما قال واحببت ان اطبع على خدها ثلاث قبلات عوض القبلة · ولذلك تجدون ضمن رسالتي حوالة بخمسة عشر ريالاً عن بدل اشتراكي لسنتين مقدماً وعن هدية الى ابن عمي ·

كوستاريكا   سليم بريدي

اعد قدوم الفنون علي كقدوم العروس واحتفظ بها احتفاظي بكنز ثمين. واي كنز اثمن مما يعي بين دفتيها من النفائس الغوال وبنات الافكار الجميلة التي لا يعادلها ثمن .

سبارتنبرغ — سوث كارولينا   نعمه الحاج

مجلتكم كميدان تعرض فيه جبابرة الاقلام وكمنبر ترتقيه اعظم ادباء المهجر .

مريدا — يوكاتان   اسمعيل شلق

يحق للفنون ان تذكر في تاريخ الاداب العربية كأكبر عامل عَلَى ترقية الامة السورية ادبياً وجعلها في مصاف الامم الراقية . ان نخبة الكتّاب الذين يكتبون فيها هم قادة الامة او بالحري قادة الشبيبة السورية الى التقدم وهم هادمو حواجز الاضاليل القديمة الحائلة دون رقينا .

سان فرنسيسكو — كاليفورنيا   توفيق حلال

وقع في يدي العدد السادس من « الفنون » فتصفحته بشوق ... لاني قبلما قصدت مصر تزودت من خزانة معرفة الفنون العدد الاول فقط فوجدت فيه زاداً مغذياً وعداذلك خمرة روحية و « مازه » فنية تهيجان الشهية وتسببان نهماً ادبياً دون تخمة ...

بروكلن — نيويورك   جرجي شخاشيري

المباراة الادبية وجوائز الفنون

ابتدأت المباراة الادبية عَلَى صفحات الفنون بعدد ايلول الماضي وستنتهي بعدد آب سنة ١٩١٧ ، فينال جوائزها ثلاثة من الادباء

الجائزة الاولى — مائة ريال — لصاحب المقالة الاولى في الفوز

الجائزة الثانية — ٥٠ ريالاً — لصاحب المقالة الثانية في الفوز

الجائزة الثالثة — ٢٥ ريالاً — لصاحب القصيدة الفائزة

(الحكم بالجوائز) حين يصل عدد الفنون الى المشتركين يستطيع كل منهم بعد قرائته ان ينتخب منه المقالة التي تعجبه والقصيدة التي تنال استحسانه فيصوّت لها ويرسل حكمه الى ادارة المجلة كل شهر بشرط ان يكون دافعاً بدل الاشتراك سواء كان شهرياً او سنوياً فلما تنتهي الاصوات الى الادارة تعلن اسم الفائز بموجبها في العدد الذي يلي التالي . ومتى انتهت السنة تعيد الفنون نشر اسماء الفائزين في التصويت الشهري ويصير انتخاب ثلاثة منهم لتدفع اليهم الجوائز .

(شروط المباراة) لكي يصح الحكم بالجائزة لاية مقالة او قصيدة يجب ان تكون مبتكرة غير منقولة عن لغة اجنبية او منشورة سابقاً ، وان تصل الى الادارة تباعاً بأسرع ما يمكن وميعاد آخر ما يقبل منها ١ تموز سنة ١٩١٧ . وللادارة الحق ان ترفض نشر ما لا تراه صالحاً للنشر .

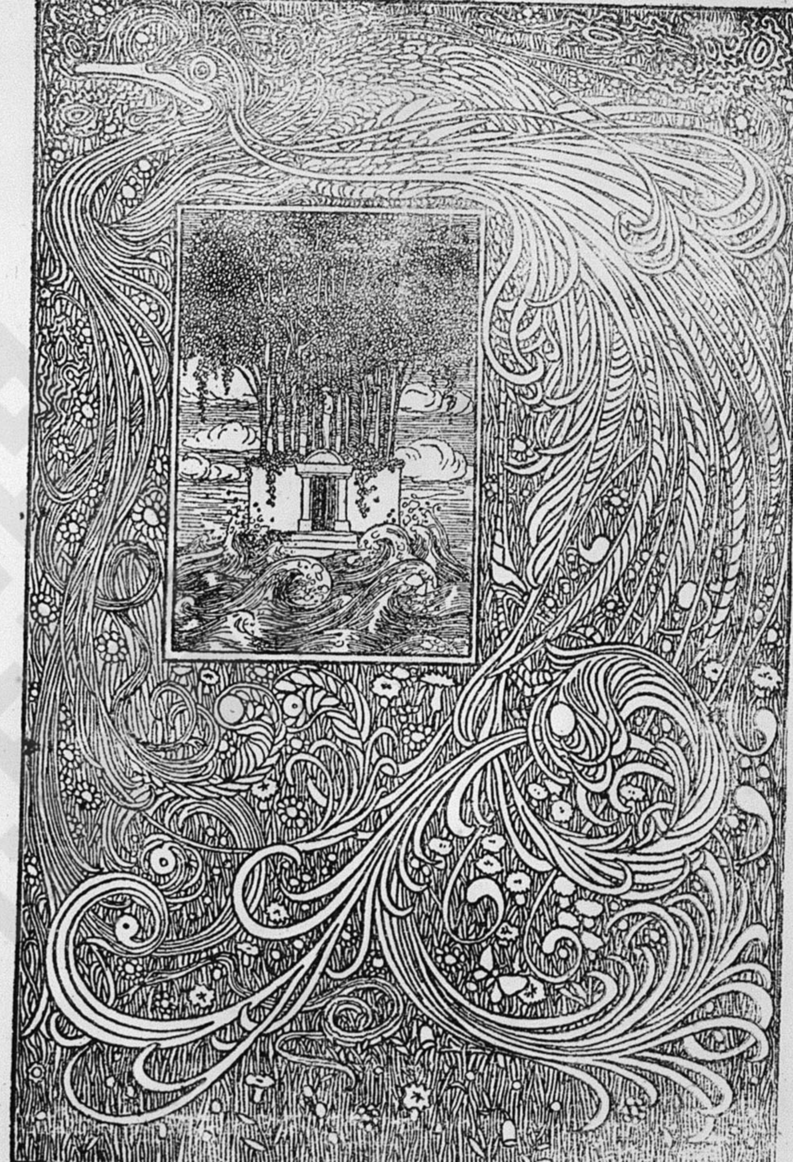
لا تنسَ ان تعطي صوتك كل شهر لمن تستحسن كتاباته

الفنون

معرض فنون وأدب

تنشر المنتخب من أدب الافرنج

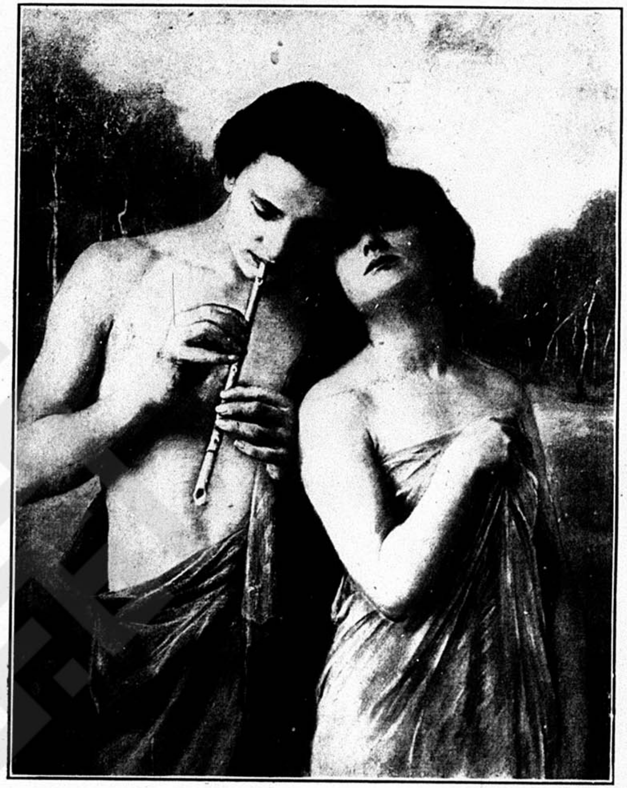
والعرب



محتويات الجزء

الصور المطبوعة على حدة

انغام الحب — العنكبوت — ملكة النيل



أنغام الحب — للمصور شمبدان

النملات الثلاث

لجبران خليل جبران

***

ثلاث نملات اجتمعن على أنف رجل نائم في الشمس . وبعد ان حيّت كل واحدة رفيقتها بتحية قومها المألوفة وقفن هنالك يتحدثن

فقالت النملة الاولى — « ما أقفر هذه التلال والاودية فاني لم أرَ لها مثيلاً في القحط والجدب . لقد بحثت النهار بطوله عن حبة من الحنطة فلم أظفر بشيء قط . »

فقالت النملة الثانية — « انا مثلك لم أجد شيئاً مع اني فتشت كل الزوايا والشعاب . فهل ، يا ترى ، نحن واقفات الان في البقعة التي يدعوها قومي بالارض اللينة المتحركة حيث لا ينبت شيء البتة ؟ »

فرفعت اذ ذاك النملة الثالثة رأسها قائلة — « ألا فاسمعا ، يا صديقتيّ . نحن الان واقفات على أنف النملة العظمى ، النملة الرهيبة غير المتناهية ، النملة التي تعاظم جسمها حتى لم يعد بامكاننا ان نراه ، وامتدّ ظلها حتى اصبحنا لا نستطيع تحديده ، وتعالى صوتها حتى عجزنا عن سماعه . وهي ازلية تملأ الارجآء بكيانها .

فلما انتهت النملة الثالثة من كلامها تبادلت رفيقتاها النظرات ثم ضحكتا استهزاء بها ·

في تلك الدقيقة تحرك الرجل في نومه · ثم رفع يده وحك انفه فسحق النملات الثلاث ·

الكلب الحكيم

لجبران خليل جبران

* * *

مرَّ كلب حكيم ذات يوم بجماعة من الهررة · وعندما اقترب منهم ورأى انهم لم يحفلوا به وقف هناك مستغرباً ·

واذا بهرٍ كبير عليه امائر الهيبة والوقار وقف في وسطهم وقال رافعاً عينيه نحو السماء —

« ايها الاخوة المؤمنون ، الحق اقول لكم انكم اذا صليتم بحرارة وايمان مبتهلين يستجاب دعاكم وتمطركم السماء فئراناً ·»

فلما سمع الكلب هذا الكلام ضحك في قلبه وتحوَّل عن الجماعة قائلاً في نفسه —

« ما اغبى هؤلاء القطط ، وما اعمى بصائرهم ! ألم يجئ في الكتب ، بل ألم أعرف كما عرف ابائي واجدادي من قبلي ان المؤمنين اذا صلوا وتضرعوا فالسماء لا تمطرهم فئراناً بل تمطرهم عظاماً ·»

النهر المتجمد

* * *

يا نهر ، هل نضبت مياهك فانقطعت عن الخرير ؟
أم قد هرمت وخار عزمك فانثنيت عن المسير ؟
بالامس كنت مرنماً بين الحدائق والزهور
تتلو عَلَيَّ الدنيا وما فيها احاديث الدهور
بالامس كنت تسير لا تخشى الموانع في الطريق
واليوم قد هبطت عليك سكينة اللحد العميق
بالامس كنت اذا اتيتك باكياً سليتني
واليوم صرتُ اذا أتيتك ضاحكاً ابكيتني
بالامس كنت اذا سمعتَ تنهدي وتوجعي
تبكي · وها ابكي انا وحدي ، ولا تبكي معي
ماذا جرى لك بعدما قد كنت تهزج في الصباح ؟
هل اجمدتك كآبتي وسمعت ندبي والنواح ؟
ماذا جرى لك بعدما قد كنت تنشد في المسا ؟
هل داهمتك مصائب مثلي فاخرسك الاسى ؟
ما هذه الاكفان — ام هذي قيود من جليد
قد كبَّلتك وذللتك بها يد البرد الشديد ؟

ها حولك الصفصاف لا ورق عليه ولا جمال
يجثو كئيباً كلما مرّت به ريح الشمال
والحور يندب فوق رأسك ناثراً اغصانهُ
لا يسرح الحسون فيه مردداً ألحانهُ
تأتيه اسراب من الغربان تنعق في الفضا
فكأنها ترثي شباباً من حياتك قد مضى
وكأنها بنعيبها عند الصباح وفي المسآء
جوق يشيع جسمك الصافي الى دار البقآء

. . . .

لكن سينصرف الشتا وتعود ايام الربيع
فتفك جسمك من عقالٍ مكنته يد الصقيع
وتكر موجتاك النقية حرة نحو البحار
حبلى باسرار البقا، تملى بانوار النهار
وتعود تبسم اذ يلاطف وجهك الصافي النسيم
وتعود تسبح في مياهك أنجم الليل البهيم
والبدر يبسط من سماه عليك ستراً من لجين
والشمس تستر بالازاهر منكبيك العاريين
والحور ينسى ما اعتراه من المصائب والمحن
ويعود يشمخ انفه ويميس مخضر الفنن

وتعود للصفصاف بعد الشيب ايام الشباب
فيغرد الحسون فوق غصونه بدل الغراب

. . . . .

قد كان لي ، يا نهر ، قلب ضاحك مثل المروج
حر كقلبك فيه اميال وآمال تموج
قد كان يضحي غير ما يمسي ولا يشكو الملل
واليوم قد جمدت كوجهك فيه امواج الامل
فتساوت الايام فيه — صباحها ومساوءها
وتوازنت فيه الحياة — نعيمها وشقاوءها
سيان فيه غدا الربيع مع الخريف او الشتآء ،
سيان نوح البائسين وضحك ابنآء الصفآء .
نبذته ضوضآء الحياة فمال عنها وانفرد
وغدا جماداً لا يحن ولا يميل الى احد .
وغدا غريباً بين قومٍ كان قبلاً منهم
وغدوت بين الناس لغزاً فيه لغز مبهم .

. . . .

يا نهر ذا قلبي . اراه — كما اراك — مكبلاً
والفرق انك سوف تنشط من عقالك ، وهو — لا . . .

نيويورك « ميخائيل نعيمه »

فلسفة الكائنات

(٢)

الفضاء

* * * * *

قال ديكارت « انا افتكر فاذاً انا موجود »

وطوم بلير يقول « انا اتحرك فاذاً انا موجود » ·

كل حركة فيها ثلاثة امور — المتحرك · والحركة · والفراغ او الفضاء

المتحرك هو طوم بلير والان دعنا منه ·

والحركة نوءجل الكلام فيها الان ·

بقي الفضاء او الفراغ ·····

طوم بلير ليس بجماد فهو يتحرك

ولا نبات فهو ينتقل — والحركة الانتقالية هي الفارق بين النبات وبين الحيوان —

واذا انتقلت اكون قد عملت امرين — برحت حيزاً او محلاً ، وحللت غيره

فالحركة الانتقالية هي سفر من موضع الى موضع · والمسافة بين الموضعين هي مقياس السفر او الانتقال ·

ولكن انى كنت فانا اشغل حيزاً · واذا تركته حللت آخر ·

والامر الواضح انني لا اقدر ان استغني عن المحل الا اذا تجردت عن

المادة وذلك امر لا اطيق البحث فيه الان ·

انما الان اعرف شيئاً واحداً · وهو — أيان كنت فانا في الفضاء ·

والفضاء صلة غير منفصمة بين كل حيزين حللتهما · وبين كل موضعين عرفتهما ·

وبين كل الاشخاص · والبيوت والقرى والمدن والبلاد وبين كل الاجرام

فما معنى ذلك ؟

الفضاء واسع جداً · والظاهر انه اعظم مما نتصور او نظن · فقد عرفني قبلما عرفته · ولازمني قبل اسمي ·

لانني في بطن امي كنت في حيز ولكن لم يكن لي اسم ·

وكنت انتقل مع امي من حيز الى حيز كما ينتقل راكب السفينة او القطار من مكان الى مكان وهو ضمن السفينة او القطار ·

ولما ولدت انتقلت بحكم الطبيعة من حيز الى حيز وذلك قبل ان اسمى

فالفراغ ألصق بي من اسمي · ومنذ ولادتي هو ملازمي

فالفضاء مرافق غير مفارق ·

ومع ذلك فهو غير منتقل ·

كل حركة فيه · وهو غير متحرك

قريب من كل وليس بعيد عن احد او عن شيء

كل شيء فيه وهو ليس في شيء

قبل وجودي كان وبعد وجودي يظل كما كان

كل عمل في الخفآء يكون ضمن سلطانه ، فان صليت او اخطأت في اعماق الخفآء وفي ابعد الاماكن عن الناس فانا في الفضآء وتحت نظره ان كان له نظر ·

فهو رقيب لو راقب · والملاك الحارس لو صحت النسبة اليه ·

الانسان محدث ولكن الفضآء قديم ·

الاجرام تسرح وتدور فيه كما تسرح النعاج في السهول وكما تدور الاولاد في الساحات ، ولكنه لا يسرح ولا يدور ·

قبل تكوّن الارض كان ، واذا انحلت الارض فهو يظل كائناً كما كان ·

يشهد التغيرات ولا يتغير · ولا يؤثر فيه شيء

اذا رمت وصفه اعيتني الحيل ، واذا انكرت وجوده كذبني الحس

اي شيء هو ؟ بل الحري اشيء هو ؟ · من يعلم ؟ · ألا شيء هو ؟ ·

أكيف يكون لا شيء وكل شيء فيه ؟ ·

أمخلوق هو ؟ لست اعلم · لانه اذا كان مخلوقاً فقد سبق العدم وجوده ·

فماذا كان قبله ؟ ·

قبل الحيوانات والنباتات كانت الارض ، وقبل الارض والاجرام كان الفضآء ·

فاذا قلنا ان الفضآء محدث فماذا كان قبله ؟ ·

أيمكن العقل ان يتصور عدم الفضآء ·

واذا كان ازلياً فهل هو اله ؟ · استغفر الله ·

واذا كان غير اله أفيوجد ازليان · الاله · والفضآء · وهل هو تحت سلطة الخالق · او مستقل ؟ ·

وهل له مشيئة او فكر ؟ ·

الجواب بسيط جداً ، وهو انني لا اعرف شيئاً عن كل ذلك — ولكن

هل الفضآء مظهر من مظاهر الخالق ·

فهو اذاً محسوس وغير ملموس ، ومشاهد وغير مدرك ، فلا يُحصر ولا يُنكر ·

وفيه يجتمع العلم والايمان · اذ يضطر العقل للاعتراف بوجوده بدليل الحس ·

ويعجز عن حده اذ لا حد له ولا تحديد ·

وعليه يكون العقل مضطراً للاعتراف بغير المتناهي ، وفي الوقت نفسه معترفاً بعجزه عن ادراكه ·

فموقف العقل امام الفضآء موقفه امام اللامتناهي ·

لا ينكره ولا يدركه · ولا يعرفه ولا يجهله · ولا يملكه ولا يتركه ·

ولا يدنو منه ولا يبعد عنه ·

ولا يزيد عليه ولا ينقص منه ·

مهما اشتدّ اللجاج وعلت الصيحات · فلا يتأثر الفضآء بها ·

ومهما اشتد الحر او الزهرير فالفضآء عَلَى ما هو ·

ان ولد ملك الملوك · او مات · فعند الفضآء عَلَى حدٍ سوى ·

في حدق الظلام وفي ابهر الانوار . الفضاء هو هو — أمس واليوم وغداً فهل غير المتناهي عديم الانفعال ؟ او له انفعال ولكننا لا نشعر به ؟ .. طوم بلير لا يعرف شيئاً من كل ذلك .

. . . . . .

—(المقاييس والابعاد)—

انتقل طوم بلير من مكتبه الى غرفة الطعام . والمسافة بينهما ١٢ خطوة . وقد ضبط المقياس المسافة فكانت ٩ امتار . ففهم طوم بلير معنى المتر والخطوة وكل الف متر كيلومتر . فاذاً الكيلومتر الف وثلاثمئة وثلاث وثلاثون خطوة وثلث الخطوة على مقياس ساقي طوم بلير . وكل مئة كيلومتر ستون ميلاً ؛ وقال الجغرافيون ان الدرجة على سطح الارض سبعون ميلاً . وان محيط الكرة الارضية ٣٦٠ درجة فالمحيط عند خط الاستواء نحو ٢٥،٠٠٠ ميل . او نحو ٤٠،٠٠٠ كيلو متر . واذا كان كل كيلومتر ١٣٣٣⅓ خطوة فيكون محيط الكرة الارضية التي عليها يعيش طوم بلير ٥٣،٣٣٣،٣٣٣⅓ ثلاثة وخمسين مليوناً الخ .

هذا كله ونحن على سطح الارض .

ولكن طوم بلير يحب التوسع قليلاً . ومعلوم ان الفضاء لا يغتاظ من ذلك واقرب الاجرام الينا على ما يقول الفلكيون هو القمر وبعده عنا ٢٤٠٠٠٠ ميل او بقدر محيط الارض خمس مرات وثلاثة اخماس المرة

وبما ان القمر ابن الارض فالاحسن ان نوسع الدائرة ، فنمشي الى الشمس

وبعدها المتوسط عن الارض ٩٣٠٠٠٠٠٠ ثلاثة وتسعون مليون ميل . والآن يستأذن طوم بلير بالاعفاء من تحويل الاميال الى خطوات

لكن طوم بلير ما زال يوسع نظره في الفضاء

فهو يرمي الى مسافة ابعد .

قال الفلكيون ان الارض سيار تابع الشمس يدور حولها ومنها يستمد القسم الاكبر من نوره وحرارته ، وان السيارات الاخر التي تدور حول الشمس هي عائلة كالام واولادها . وهي — عطارد والزهرة والارض والمريخ والمشتري واورانوس ونبتون .

ونبتون هو اخونا الابعد وبعده عن الشمس ٢،٧٥٣،٠٠٠،٠٠٠ الفان وسبعمئة وثلاثة وخمسون مليون ميل . وهناك تنتهي العائلة الشمسية على ما نعلم وبعده خلاء هائل وفضاء مجهول الى ان نتصل بفلك اول ثابت بعد الشمس .

والمسافة بين الشمس وبينها ثلاث سنين على سير النور . والنور يسير في الثانية ١٧٥،٠٠٠،٠٠٠ ميل او محيط الارض مكرراً ست مرات . وفي الدقيقة ١،٠٥٠،٠٠٠،٠٠٠ الف وخمسين مليون ميل

وفي اليوم ٢٥،٢٠٠،٠٠٠،٠٠٠ خمسة وعشرين الف مليون ومئتي مليون ميل

وفي السنة ٩،٤٣٢،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠ تسعة الاف واربعة واثنين وثلاثين الف مليون ميل .

وفي ثلاث سنين ٢٨،٢٩٦،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠

والنجوم تتفاوت بعداً كما تتفاوت قدراً

فقد قدر العلماء ان النور يصل من احدها الينا في مدة الفي سنة فهي بعيدة عنا : ٥٦،٥٩٢،٠٠٠،٠٠٠،٠٠

فكم يلزم طوم بلير من الوقت ليجتاز هذه المسافة · دعنا من هذا الخيال الان فلدينا ما هو اهم منه بكثير وهو —

ان تلك النقطة التي هي اقصى بعد عُرف حتى الان لا تحد شيئاً من الفضاء

اعني اننا لا نقدر ان نقول انها نصفه او ربعه او اكثر او اقل

ولا يقدر طوم بلير ان يتصوّر ان المسافة وراءه ابعد مما هي امامه

ولا يقدر ان يقول ان الفضاء الى يمينه يساوي الذي الى يساره او اكثر او اقل ·

فالفضاء يحيط بطوم بلير عَلَى الجهات الست فوقه وتحته · وامامه ووراءه · ويمينه ويساره · والى كل من هذه الجهات لا يعرف له حداً ١

وقد فهم طوم بلير ان الفضاء غير محدود بالنظر الى مداركه ·

واستخلص مما تقدم القضايا الآتية —

(١) — غير المحدود لا يحصر لا حساً ولا عقلاً ·

(٢) — يضطر العقل الى الاعتراف بوجوده والعجز عن ادراكه ·

(٣) — يعجز العقل عن تصور التأثير فيه كلياً وجزئياً ·

(٤) — يرغم عَلَى الاعتراف بالاضطرار اليه سرمداً ·

(٥) — لا جزء لغير المحدود ·

اعني لا يقدر طوم بلير كما لا يقدر اكبر فيلسوف ان يحدد جزءاً من الفضاء فيقول هذا نصفه او ربعه او ثلثه ، او اكثر او اقل

فغير المحدود هو غير محدود بكل اعتباراته ·

واذا افترضنا تجزئته نظرياً فاجزاؤه غير محدودة ·

فالمقياس والحساب من مبتكرات المحدود ·

فهي لا تسوس غير المحدود ·

وعلم المسافات يعين الخط بين جسمين

ولكن الفضاء لا يقاس ·

هنا يقف طوم بلير وقد اسقط في يده وكاد يغمى عليه

لانه لا يدري ماذا يصنع ·

لانه يخشى ان يكون الفضاء الهاً ويسكت عن تقديسه فيأثم

ويخاف ان يكون ليس باله فاذا عبده فقد ارتكب الشرك والعياذ بالله

فصمت · وسكنت حركته العقلية · وفتح فمه واغمض عينيه · وشعر بحقارته امام غير المحدود · واقشعرّ · وتكرّش جلده · ويقول فلاسفة الكهان ان الصمت امام غير المحدود اقدس عبادة واسمى افعال الخلائق العقلية ·

وكثيراً ما كان في الصمت حكمة ليست في الكلام

(الاسكندرية) « حنا خباز »

الاباء والبنون

﴿ رواية اجتماعية تمثيلية ﴾

﴿ لخائيل نعيمه ﴾

« تابع ما قبله »

* * *

الياس — ماذا جرى ? ماذا أرى ?

شهيدة — (تنفض الثلج عن رأس داود بيديها وتنزع (معطفه) عنه . ويلي . ويلي . من تعدى عليك . ارني . ارني . جروحك (تجذبه الى القنديل وتفحص جروحه) ربي ! .. من اين آتيه بطبيب . الياس افندي . دخيل جريك ! دخيل ربك . حكيم ! حكيم ! داود . داود . هل تتألم كثيراً يا روح اختك ? (تركض الى الغرفة المجاورة)

اليا س — الذنب ذنبي . الذنب ذنبي والله يا داود . انا المخطئ . ألعني واشتمني كما تشآء . انا استحق . استحق . استحق .

داود — وما هو ذنبك ?

الياس — جئت الليلة خصيصاً لاحذرك من هذا الامر . لكني تأخرت في مجيئي فكان ما كان . يا للهمجية . يا للبربرية !

شهيدة — (ترجع وفي يدها لفافة شاش تضمد بها جراح اخيها) ويحهم .

ويحهم . من ذا الذي اراد قتلك وانت لا تؤذي احداً ولا تطلب الشر لاحد ? دعني أرَ عينك . هل تضررت كثيراً ?

داود — لا بأس . لا بأس يا اختي . المسألة بسيطة . جرحان خفيفان . لا حاجة الى طبيب . عنايتك تكفيني .

شهيدة — هل تقدر علَى الكلام ? اخبرني ماذا جرى . لا تخفِ شيئاً . اخبرني كل شيء بالتفصيل . يا للعار يا للشناعة !

داود — (يجلس علَى الفراش ويتكلم بضعف . الياس وشهيدة يصغيان بانتباه كلي لقصته) ارسل سمعان البكر ابنه يستدعيني اليه ليستشيرني في امر كمبيالة له عند ناصيف عركوش .

الياس — ناصيف بك ? وكم قيمتها ?

داود — ١٠،٥٤٥ غرشاً

اليا س — ناصيف بك مديون لسمعان البكر بعشرة الاف غرش وامي لا تزال تحسبه رجلاً غنياً !

داود — الكمبيالة قد استحقت لكن البيك رفض ان يدفعها او يدفع فائضها او ان يجددها قائلاً ان كلمة شرف منه تكفي . وسمعان البكر رجل مسكين — قضى في اميركا نصف عمره حتى جمع هذه القيمة من المال . هو شيخ مصاب بالدآء العصبي عنده زوجته واربعة اولاد عليه ان يقوم بماشهم وهو يخاف ان يرفع دعواه الى المحكمة لانه — كما قال — ابو ناصيف بك « رجـال حكومة » فلا يكتفي ان يسلبه ماله وحقه بل ربما وجد الحق عليه

ووضعه في السجن . وانت تعرف بساطة هوءلاء الناس الذين لم يدخلوا محكمة في حياتهم . كلهم يخافون المحاكم خوفاً فطرياً كما تخاف الفأرة الهر . انا اعرف سمعان البكر جيداً لان اثنين من اولاده في صفي . لذلك التجأ هذا المسكين الي . قلت له اني لست محامياً انما اقدر ان اهديه الى محام يتكل عليه لتحصيل دراهمه . مع ذلك نصحت له ان يعيد الطلب عَلَى ناصيف بك مرة ثانية ، حتى اذا رفض يرفع دعواه الى المحكمة لان الامر لا يحتمل تأجيلاً .

الياس — برافو . برافو . والله خففت عني نصف الحملة !

داود — خرجت من عند البك فوجدت العاصفة قد اشتدت فلم اخف لاني احب العواصف . ما كدت اقطع الجسر حتى رأيت شخصاً خرج من تحته وناداني — « بارضك ! » وقفت لاسأله من هو وماذا يريد فلم اشعر الا بلطمة عَلَى وجهي اطارت الشرر من عيني . لكني لم اقع . ظننت اولاً ان ضاربي قد اخطأ غرضه وانه كان يقصد سواي لاني فحصت افكاري فلم اذكر لي عدواً يحب الايقاع بي عَلَى تلك الصورة . صحت بالرجل — انا داود سلامه — من تطلب ؟ قال — « انت لا غيرك » وانقض علي بعصا في يده . حينئذٍ عيل صبري ولم املك نفسي من الغضب . (بحرارة) تلقيت العصا بهذه اليد وقابلته بهذه فتمدد للحال عَلَى الثلج كالقتيل . انحنيت فوقه لآخذ العصا من يده واذا بعصا من حديد سقطت عَلَى رأسي من خلف . ثم سقطت اخرى بين كتفي . اذكر اني هويت عَلَى وجهي الى اسفل ولا اذكر

ما جرى بعد ذلك . بلى ، اذكر اني سمعت صوتاً كأنه من خلال نوم يقول — « كمّل عليه . كمّل عليه » وصوتاً آخر يجيبه « لا تخاف . قلب باطه . باذن الله » . ولا ازال في حيرة الى الان من الصوت الاول . كأنه صوت اخيك خليل تماماً حتى اني لما سمعته احببت ان اناديه باسمه لكن لساني لم يطاوعني . لا ادري كم بقيت هنالك مطروحاً عَلَى الثلج انما اعلم اني افقت مشعراً كأن الدم في عضلاتي جمد او كاد يجمد . لكني وصلت الى هنا بدون عناء كبير . انا الان مرتاح لا تخافي يا شهيدة . غداً سانهض معافى تماماً .

الياس — (بدهشة وغضب) خليل بين هوءلاء الزعران ؟ لعنه الله ما اخبثه ولو كان اخي ! أتدري ماذا قال لي هذا الشيطان اليوم ؟ قال لي — « الياس ! شوف هادا صاحبك المعلم داود — انا بعزه وبحبه مثلك واكثر . شاب آدمي ، حبوب . لكن احسن قله تايبطل يلعب بعقل زينه . هادا عريسها طالع دينه منه ولولاي بدو يستأجر قوبة زعران تايلقطوا صاحبك داود شي ليلة ويطعموه بدن مليح -- هات يخلص . هات مـا يخلص » هذا ما قاله لي هذا الداهية ، وانا لبساطة قلبي او عماوته ، صدقته انما جربت ان اقنعه انك بريء من هذه التهمة لكنه لم يصدقني .

داود — أتظن ان الذين هجموا عليّ الليلة هم ناصيف بك وزمرته ؟

الياس — لا شك في ذلك . ناصيف بك ربما لم يشترك في الامر فعلاً — لكن التدبير تدبيره بدون اقل شك .

داود — وما ثأره عندي وانا اكاد لا اعرفه ؟

الياس — لله ما ابسطك ! او لم تدرِ بعد بما جرى في هذين اليومين ؟
زينة ارجعت الى ناصيف بك خاتم الخطبة · لا بل طرحته في وجهه

داود — (بدهشة ممزوجة بفرح) زينة ؟ !

الياس — زينة · نعم زينة · من اين اتتها تلك الجسارة — لا ادري · لكنها — كما فهمت من امي تخاصمت معه لاجلك ·

داود — (بدهشة كلية) لاجلي ؟

الياس — نعم لاجلك · عارف بك اخذ مرة يشتمك امامها — وكانت منفردة معه · فاستشاطت للحال غيظاً وقالت له بجرأة أن لا حق له ان يشتم غائباً وبالاخص رجلاً غريباً عنه · وان عندك من الفهم اضعاف اضعاف ما عنده · ولما توغل في شتمك قالت له ان « خنصره — تعني خنصرك — بيسواه — تعني عريسها · فامرها ان تصمت للحال فسألته من هو ليأمرها بالصمت ومن اين جاء بذاك الحق · فاشار للخاتم على اصبعها وقال انه خطيبها وان له الحق ان يأمرها بألاً تتكلم عنك او عن سواك حتى بألا تفتح فمها على الاطلاق الخ الخ ··· فنزعت زينة للحال خاتم الخطبة من اصبعها — وهل تصدق ؟ — رمته في وجه ناصيف بك — ويقولون انه اصاب انفه وجرحه — قائلة — « اذا كان هذا ما يعنيه خاتمك فالف سلام عليك وعليه » وخرجت من الغرفة · ولذاك نالت من يد امي ضرباً مبرحاً · امي طبعاً لا تزال تعمل جهدها لتسوية الخلاف ليتم الاكليل في الاعياد القادمة كما دبرت ذاك من زمان · ناصيف بك وابوه يتظاهران بانهما متأثران من الاهانة لكنهما في

الواقع قد نسياها من زمان ويعملان الآن يداً واحدة مع امي لاجبار زينة على القبول وزينة تقول — « الموت او الدير ولا ابني العركوش » وقد جئت الليلة اولاً لاحذرك من اشراك ناصيف بك — وقد تأخرت عن ذلك — وثانياً لاستشيرك في واسطة نخلص بها زينة من يدي امي التي لو ألحت لاستطاعت ان تجبرها على القبول وان تجبر الخوري كذلك على القيام بصلاة الزيجة · فما رأيك ؟

داود — هل من واسطة اقدر ان ارى فيها زينة ؟

الياس — انا اقدر ان آتي بها الى هنا · فهل ذاك مناسب ؟

داود — في هذه العاصفة ؟

الياس — نعم · في هذه العاصفة

داود — ألا خطر عليها ؟

الياس — لا خطر عليها اذا كنت انا معها ·

داود — اذا كان هكذا فاذهب ولا تطل غيابك ·

الياس — (لابساً قبعته ورداءه) انتظراني اذن · سارجع عن قريب · (يخرج)

شهيدة — هاكها — حكاية حياتنا السورية · دائماً هي هي · ابنة يزوجها ابواها ولا يسألان رأيها في الامر كأن ارادتها لا تقدم ولا تؤخر شيئاً على الاطلاق ·

داود — نعم · هذه هي حكاية حياتنا · لكنها يجب ان تتغير وستتغير

عن قريب . يجب ان يعرف الابناء حقوقهم والاباء يجب ان يعترفوا لهم بهذه الحقوق . الوالد او الوالدة اللذان يدعيان حق التصرف بمستقبل بناتهن تصرفاً مطلقاً لقاء ما صرفاه عليهن من الخبز والثياب والتعب ، لا يستحقان الاكرام الواجب من الاولاد للوالدين . والوالدان اللذان يطلبان مغنماً شخصياً لنفسيهما من تزويج ابنتهما وينسيان مستقبلها وسعادتها يضيعان كل حقوقهما عليها . نعم . هذه الحالة يجب ان تتغير . ولا بد ان تتغير لان ابناء هذا الجيل قد ولدوا في عالم جديد . في عالم غير العالم الذي ولد فيه اباوءهم . اباوءهم كانوا منعزلين عن عالم النور اما هم فقد افاقوا عَلَى انفسهم والنور يغمرهم من كل جانب . فلا سبيل لهم ان يستتروا منه بجلباب الظلمة ، او ان يختفوا من وجهه في المغائر والكهوف حتى ولو حاولوا ذلك

شهيدة — الافضل ان لا تتكلم عن ذلك لئلا تتهيج . كيف جرح رأسك الان ؟

-- كنت اسمع ان العرق ينفع للجرح . فهل تقدرين ان تأتيني بقليل من العرق ؟ لا ادري اذا كان حانوت العين لا يزال فاتحاً الى الان . هذا اقرب حانوت الينا . اذا وجدته مقفلاً فاسألي بعض الجيران . ولكن الاحسن ان تنتظري الى ان تهدأ العاصفة .

شهيدة — لا تخف عليّ من العاصفة . اضطجع عَلَى السرير ريثما اعود . (تخرج)

داود — (يجلس عَلَى السرير ساكتاً ورأسه بين يديه . بعد برهة قصيرة

يسمع طرقة عَلَى الباب) الياس ؟ ادخل ! (تتكرر الطرقة فينهض داود نحو الباب ويفتحه . وللحال يرتمي الى الوراء مذهولاً وهاتفاً) ست زينة ؟ !

(زينة تدخل وعليها رداء ثقيل دافيء مغطى بالثلج وقد لفت رأسها بحرام من الحرير الاسود .

زينة — (ناظرة الى داود) قد قضي الامر اذن . فلم يعد من حاجة لمجيئي اعذرني يا معلم داود . يجب ان ارجع من حيث اتيت . (تهم بالخروج)

داود — ست زينة . ست زينة ! ما الخبر ؟ حلفتك بربك ألاّ تخرجي الان . لي اليك حاجة . ابقي هنا ولو دقيقة . اكاد لا اصدق عينيّ . ماذا جاء بك الى هنا في مثل هذه الساعة ؟

زينة — جئت لاحذرك من مكيدة يصليها لك بعض الرعاع . واراني قد تأخرت . تهت عن الطريق في هذه العاصفة . بقيت نحو ساعتين ابحث عن مقرك . وقد اهتديت اخيراً . لكن قد قضي الامر . فاعذرني ودعني اذهب . احببت ان اكفر عن ذنبٍ قديم فاقترفت ذنباً جديداً .

داود -- ألا تريدين ان تجلسي . بالله اجلسي واخبريني ما هي المكيدة التي احببتِ ان تنجيني منها .

زينة — سمعت اخي وابن العركوش يتشاوران في ان يوقعا بك الليلة . وقد قررا ان يستأجرا لتلك الغاية بعض الرعاع . انتخبا هذه الليلة حتى اذا استغثت لا يسمع صوتك في العاصفة . واذا سال منك دم يغطيه الثلج المنهمر من السماء . وقد جئت لانذرك لكي لا تخرج الليلة لكني قد تأخرت . والذنب

ذنبي لا ذنب العاصفة ٠

داود — وكيف تجاسرت ان تخرجي في ليلة كهذه ٠ ألم تخشي العاصفة ؟

زينة — كلا ٠

داود — ألم تخشي امك ؟

زينة — خرجت وهي في زيارة بعض الجيران ٠

داود — ألم تخشي القيل والقال لو رآكِ احد ؟

زينة — لا يهمني قيل الناس وقالهم ٠

داود — وكل ذلك لاجلي ٠٠٠ اي لكي تنذريني من الوقوع في المكيدة ؟

زينة — نعم ٠ لكي انذرك من الوقوع في المكيدة ٠

داود — من اجلي اقتحمتِ العاصفة ، ومن اجلي لم تبالي بكلام الناس ومن اجلي احتملتِ الضرب ٠٠٠

زينة — اي ضرب ؟

داود — ألم تضربك امك بسببي ؟

زينة — من اين علمت ذلك ؟

داود — من الياس ٠

زينة — هل اخبرك كل شيء ؟ وانت من اجل من اشبعوك ضرباً واثخنوك جراحاً ؟

داود — لولاكِ ولولا الياس لما عرفت السبب الى الان ٠ ضربوني تعدياً وظلماً ٠ واذا كان السبب كما يقولون فما احب جراحي اليّ !

زينة — ماذا تعني ؟

داود — اعني اذا كانوا ٠٠٠ اعني اذا ضربوني لانهم يحسبون اني سبب خصامك مع ناصيف بك فانا قابل بجراحي بكل سرور ٠

زينة — واذا كانوا ضربوك لانهم ٠٠٠ لانهم حسبوا ٠٠٠ لانهم ظنوا اني ٠٠٠ اني احب ٠٠٠ انك تميل اليّ وانا اميل اليك ؟

داود — ذاك مستحيل !

زينة — مستحيل ؟ (تطرق الى الارض) نعم مستحيل ٠ وهم لجهلهم لم يعرفوا انه مستحيل ٠ وانا لجهلي كذلك لم اعرف انه مستحيل ٠ (تنهض) قد قضيت هنا اكثر من دقيقة كما طلبت مني اولاً ٠ فاعذرني الان ٠ اعذرني عَلَى ما لحق بك من الاوجاع بسببي وانت بريء مني ٠ ساجتهد ان اكفر عن ذنبي ٠ احب ان اشكرك قبل ان اخرج — ولا اقدّر اني سألتقي بك بعد — احب ان اشكرك عَلَى امرٍ ربما تعده انت طفيفاً ٠ انت قد فتحت عينيّ فابعدتني من هاوية ، ولكنك ادنيتني من اخرى افظع واعمق منها ٠ مع ذلك انا اشكرك جداً ٠ وداعاً (تهم بالخروج)

داود — (آخذاً بيدها) ست زينة ! ست زينة ! دقيقة بعد ٠ دقيقة بعد ٠

زينة — (متجهة نحوه) ماذا تطلب مني بعد ؟

داود — ماذا تعنين بالهاوية — الهاوية الثانية التي ادنيتك منها ؟

زينة — ما النفع من كل هذه السوءالات وانت لا تقدر ان تغير ما قد تمّ ؟ الهاوية التي خلصتني منها — هي ناصيف بك العركوش ٠ أتذكر لما

كنت في بيتنا لاول مرة ؟ أتذكر حديثك مع الياس عن الاباء والبنين؟ انا كنت جالسة اسمع واعي ولا اظنك شعرت بوجودي في تلك الغرفة . من ذالك اليوم تفتحت عيناي قليلاً وزياراتك التالية زادتني احتقاراً لنفسي فكانت النتيجة اني رفضت ابن العركوش . رفضته ولا ادري مـاذا افعل بنفسي الان . كنت من قبل جاهلة عمياء راضية بالقليل . واليوم لا ازال جاهلة ولا ازال عمياء لكني لا ارضى بما كنت راضية به قبل وما اطلبه الان لا اقدر ان اظفر به لذاك اقول اني كنت سعيدة بجهلي . وانك ابعدتني من هاوية لتدنيني من اخرى .

داود — وما هو الذي تطلبينه الان ولا تقدرين ان تحصلي عليه ؟

زينة — اطلب المستحيل . وما كنت ادرك ذلك حتى هذه الليلة . نعم . اطلب المستحيل . فبالله لا تسألني بعد عن شيء . اذا كنت لا اعرف شيئاً على الاطلاق فانا اعرف على الاقل حقيقة واحدة -- وهي ان موتي الان خير من حياتي . لذاك سأموت . وداعاً (تهم بالخروج)

داود — (يوقفها آخذاً بيدها) ست زينة ! انتِ تموتين ؟ فمن يستحق ان يعيش اذن ؟

زينة — ألا تقدر ان تدعوني باسمي فقط ؟ هل يصعب عليك ذلك ؟

داود — ست زينة ... زينة ! لماذا تذكرين الموت !

زينة — ولاجل مَن اعيش الان ؟ انت تقول ان السعادة في ان يعيش الانسان لاجل سواه -- وانا لاجل مَن احيا ؟ مَن يهمه وجودي وبقائي ؟

داود — زينة — عيشي لنفسك تعيشي لاجل الغير . عيشي لاجل اخيك الياس فهو يحبك .

زينة — انا اكره نفسي اذا بقيت منفردة كما انا الان . واخي الياس لا يحتاج اليّ . فلمن . لمن ... لمن يعيش من كان مثلي ؟ (تبكي)

داود — زينة — زينة — عيشي ... عيشي لي ... عيشي لاجلي ... لاجلي انا . هل تصفحين عن جسارتي ؟

زينة — لاجلك ؟ — لماذا تهزأ بي ؟ (تبكي) ألأني ابنة جاهلة ؟ انا اعرف اني حمقاء . اني جاهلة . اني بسيطة . فلماذا تذكرني بذلك ؟

داود — زينة ! اقسم لك بمن جمعني بك هذه الليـلة عن غير عهد اني احتاجك . احتاجك . احتاجك . وحياتي ليست كاملة بدونك . ادركت ذلك من يوم رأيتك . لكنني حتمت عَلَى نفسي السكـوت لاني ظننت ان روحك لم تستيقظ بعد . ظننت اني لست اهلاً لحبك . ظننت ان حياتك كاملة بدوني . خفت ان اعرض عليك نفسي والعقبات في سبيل اتحادنا كثيرة

زينة — داود ! هل تعني ما تقول ؟ بربك ؟ — ألست تهزأ بي ؟ لا ؟ فاذن ... (تنطرح نحوه ثم ترجع الى الوراء) لا . لا . انت تهزأ ...

داود — وحياة زينة لا اهزأ — وهل هذا وقت هزء

زينة -- انت . انت — داود الذي كنت اراه في احلامي ولا اجسر ان ألفظ اسمه بلساني حتى امام نفسي وفي خلوتي . انت الذي فتحت عيني فابصرت بعض ما عميت عنه قبلاً . انت الذي انرت وجودي بنور جديد .

انت ... انت ... لا تغريني ? ! انت لا تزدرىء بجهلي وبساطتي وضعف عقلي ? انت تحبني ? ! وهذا ليس حلماً ? (ترتمي بين ذراعيه)

داود — احبك يا زينة . احبك يا زينة (يقبلها) وهذا ليس حلماً بل يقظة .

زينة — أتوءمن بالله ?

داود — اوءمن .

زينة — لا تضحك . أترى هذا الخنجور (تخرج خنجوراً من جيبها) ? أتدري ما فيه ? . سم ناقع . كرهت نفسي وحياتي في المدة الاخيرة حتى عزمت ان اقتل نفسي . كرهت ابن العركوش كرهاً لا كره فوقه . واحببتك حباً لا ادري اذا عرف مثله احد قبلي . لكني لم اجسر ان اعترف به حتى امام نفسي . نظرت الى الهوة بيني وبينك -- لا هوة المال والنسب — بل هوة الادراك والمعرفة ، فوجدت تقربنا من المستحيل . ولم يبق لي في الدنيا من غاية سوى الاقتراب منك . واذ اقنعت نفسي ان لا أمل بتحقيق هذه الغاية حصلت على هذا الخنجور وخرجت هذه الليلة وبقصدي ان لا ارجع الى العالم ابداً . لا ادري ماذا اوقف يدي عن تجرع ما في هذا الخنجور . حاولت ذاك مراراً -- وكل مرة كان شخصك يقف امامي فتجمد يدي . اخيراً صليت لربي من اعماق قلبي وسألته ان يهبني جرأة وقوة لآتي هذه الليلة واراك قبل ان اموت . وان اسمع منك هاتين الكلمتين -- « احبك يا زينة » اذا كان الله يشاء لي ان اعيش بعد . اتخذت امر المكيدة عذراً لمجيئي في مثل

هذه الساعة . وقد سمعت ما اشتهيت فاشكر الله . قل مرة بعد — احبك يا زينة »

داود — احبك يا زينة . احبك يا زينة . احبك يا زينة . ولو كنت اخشى ان يكون حبي شقآء لك

زينة — حبك شقآء لي ? ! (تضحك)

داود — (مشيراً الى اثاث غرفته الفقيرة) انظري . تأملي . هل ترضين بالفقر بعد الغنى ?

زينة — هس . هس . هس . لا تفه بكلمة واحدة بعد عن هذا . ما احسن الفقر . ما ألذ البرد . ما اشجى صفير العاصفة اذا كان هنا (تشير الى قلبها) ما يدفىء وما يغذي من الحب . مع ذلك فنجني الان من امي قبل ان تفتكر بهذه الامور . عجباً . لا ادري لماذا لا ازال اخافها . عقلي يدلني وقلبي يدفعني الى ان اكشف لها كل ما في قلبي ، وان لا اهتم لغضبها ، وان لا اخاف ضربها . لكني عندما اسمع صوتها ، عندما ارى عينيها -- ارتجف كالقصبة . اظن انها قد ارضعتني خوفها مع اللبن

داود -- سنفعل ما في وسعنا بمساعدة الياس لنتغلب على امك . هل من خوف عليك اذا عدت الليلة الى البيت ?

زينة — قلت لك اني اخاف امي . لكن لتفعل امي وكل الاقدار ما تشآء . ألم تقل لي « احبك يا زينة » ? فلتفعل امي ما تريد . (تعانقه) هل تعود وتندم على ما قلته لي الليلة ? هل تعود فتنفر مني لجهلي وبساطتي ? لا ?—

ما احسن الحياة معك يا داود ! (شهيدة تدخل فجأة)

شهيدة — (نافضة عن ثيابها الثلج وناظرة بدهشة الى زينة) هاك العرق. فكيف جراحك الان ؟

داود — دعي العرق لمن يشرب العرق · فانا قد نسيت جراحي · الله بعث الي دواء انجع من العرق · وهذا هو (يشير الى زينة) هذه الست زينة — او زينة — اخت الياس ، يا شهيدة · فاقبليها كأخت · (الى زينة) وهذه اختي يا زينة — فاقبليها كأخت لك كذلك !

شهيدة — (تهجم لمعانقتها) ليكن اسمك مهما كان · يكفيني ان داود يحب هذا الاسم وصاحبته ، لذلك سأحبك انا كذلك · اخلعي · اخلعي شالك ورداءك (تنزع الشال عن رأسها) اجلسي فسأذهب انا واشعل ناراً لتدفىء اصابعك النحيفة · في غرفتنا برد اكثر مما في الخارج · ألم تشعري بذلك يا زينة ؟ اجلسي بحياة عمرك · انا احب ان اتعرف بك ِ جيداً · (تخرج)

زينة — اختك مجبولة من اللطف مثلك — · لماذا لم تقل لي ان عندك اختاً ؟

داود — لم يتسنَّ لي ذلك قبلاً ·

شهيدة — (ترجع وبين يديها منقل فيه قليل من الفحم وكسر الحطب· تشعل ثقاباً وتنفخ) اين الياس · هل رجع ثم عاد فخرج ؟

زينة — اي الياس ؟ — اخي ؟

شهيدة — الياس اخوك · اي · ألم تأتِ الى هنا برفقته ؟

داود — لا · زينة اتت لوحدها · وقد نسيت ان اخبرها ان الياس كان عندنا الليلة · واننا ارسلناه لاستدعائها لنتخابر معاً في امر نجاتها من ابن العركوش

زينة — ارسلت الياس لاستدعائي لتتخابروا في امري ؟ ! أتعني انك كنت تهتم بي قبل ان عرفت حبي لك ؟ ما ارق قلبك يا داود !

داود — بدأت اهتم بك من يوم رأيتك لاول مرة · (يسمع وقع اقدام وراء الباب) هذا هو الياس · (يذهب نحو الباب)

الياس — (يفتح الباب) ها · انتِ هنا وانا افتش عنكِ ؟ أتدرين ان امي وخليلاً قد خرجا يبحثان عنكِ كذلك · الخادمة في البيت قالت لي انك هربتِ وان امي كانت « تلاطش خيالها » · رجعت الى البيت ولم تجدكِ فاستدعت خليلاً للحال ليذهب معها للبحث عنكِ · خرجت في هذه العاصفة وهي تقول انها اذا وجدتكِ « بدها تقيم القيامة »

داود — اجلس · اجلس وتدفأ الان · هاتي كرسياً يا شهيدة · ستقف على التفاصيل فيما بعد ·

الياس — فيما بعد ؟ انا احب ان اعرف ما جرى الان ·

داود — زينة سترجع معك الى البيت · فهل تكفل ان امك لا تصب سخطها عليها ؟

الياس — ماذا تعني ؟

داود — اعني — هل تكفل ان امك لا تضربها ؟

الياس — خذ لك الف كفالة كهذه الكفالة ·

داود – اذن سألقي اتكالي عليك .

الياس -- ستلقي اتكالك علي ؟ -- وهل تظن انك تهتم بها اكثر مني – وانا اخوها ؟

داود – لربما كنت اهتم بها اكثر منك ، ما يدريك ؟ اذا لحق بها اذى فاعلم انه سيلحق بي اضعافه .

الياس -- والله فصل ! هل تظن انك تحبها اكثر مني ؟

داود – نعم . احبها اكثر من نفسي يا الياس .

الياس -- ماذا تقول ؟ ماذا تقول ؟ هل انا في حلم ؟ هل ذلك صحيح يا زينة ؟

زينة -- صحيح يا الياس .

الياس – هل اتفقتما ان تلعبا دوراً على ظهري ؟ والله اذا صح ذلك فقد تم ما كنت اشتهيه من زمان . داود (آخذاً بيده) انا لا اعرف في العالم فتاة تليق ان تكون رفيقة لك كزينة . وانتِ يا زينة (آخذاً بيدها) انا لم أرَ بعد رجلاً جديراً بقلبك السليم وروحك الطـاهرة كهذا الرجل . فليبارككما الله

داود – (باسماً) قد باركتنا السماء من قبلك . واذا كان بينك وبين الله صداقة جديدة فاطلب اليه ان يفتح عيني امك لتبارك رباطنا وترتد عن ابن العركوش .

الياس -- امي -- امي لا يفتح عينيها سوى القبر . واذا كنت تنتظر

رضاها فالاحسن ان تبدأ حياتك من جديد . (يسمع طرق على الباب . يذهب الياس ويفتحه . يدخل خليل وام الياس)

ام الياس – (متجهة نحو زينة) آه يا مغضوبة يا عاهرة يا ناقصة يااللي بلا دين ! انتِ هون وانا غليت المراسيل وانا دور عليكِ آ ؟ ايش شغلتك هون يا ملعونة يا مقصوفة العمر ؟ ايش لكِ شغل هون آ ؟ تفه عليكِ ولعنة الله وغضبه . بدك تجرسيني بين الناس ؟ بدكِ تنزعي اسمي واسم بيت سماحه – والله لانزع لحمك عن عظمك يا خاينة ، يااللي بلا شرف وبلا ناموس ! شو طلعتك من البيت وحدك بليلة مثل هالليلة ؟ شو شغلك في بيوت الناس ؟ بعدك زغيرة تاتقاومي امك وتكسري كلمتها – لكسر العصا عاضلاعك يا منحوسة ! ان خليتك هيك الله لا يخليني . ان خليتك هيك ما بكون من ضهر امي وبيّ ولا بكون بنت العرموني . صرتِ عن تطلعي بفنون فنون آ . ؟ صرتِ عن تمشي عامدا راسك – الله لا يعيشك تمشي ! الله يلعنك بكل كتاب مقري ولو كانت اللعنة علَى الحجر ما بتجوز . انصرفي عاالبيت قوام – هلق . بهاالدقيقة . انهزي . تحركي – لا يعيشك تتحركي ان شاء الله . (زينة تبقى مكانها . ام الياس تقترب منها بغضب وتأخذها من شعرها) قلت لكِ انصرفي ! (تحاول ان تجرها)

داود -- (رافعاً يد ام الياس عن زينة ودافعاً اياها الى الوراء) ام الياس . ام الياس . لا تنسي ان زينة في بيتي الان . وانك اذا كررتِ بعد لعناتك عليها اضطر ان اسألك ان تخرجي من هنا .

ام الياس — وحضرتك مينك — ايشك من الناس ؟ شو دخل ذنبتك بيني وبين بنتي · انا حرّه ببنتي · انت شو بيعنيك منها ؟

داود — يعنيني منها اكثر ما يعنيك ·

ام الياس — انت · انت ؟ انت بيعنيك منها اكثر ما بيعنيني ؟ انت — شقفة قلعوط ما حدا بيعرف جلدة راس بيك منين — شقفة بسترند ؟ زينة ! سمعتِ لحد وين وصلتني امورك يا رديه — ريتك توصالي عاجهنم تاتتنيح منك بفرد مرة · (تهجم نحوها لتضربها · داود يأخذها بلطف نحو الباب)

داود — قلت لكِ اني اضطر ان اخرجك من هنـا · فاعملي معروفاً واتركي بيتي !

ام الياس — يقلع لك ولبيتك · انا متشردقه فيك وببيتك · بدي بنتي· شيل ايدك عني بهاالدقيقه يما بيني وبينك المحكمة · (خليل يهجم عَلَى داود قاصداً ضربه)

الياس — (منقضاً عَلَى خليل) خليل · خليل ! قف مكانك · (يدفع خليلاً الى الورآء)

زينة — (تصرخ مذعورة) داود ··· امي ··· خليل ··· الياس (تهبط عَلَى الكرسي وتضع رأسها عَلَى الطاولة وتبكي)

ام الياس — زينة ··· زينة ··· لحد وين بعد بدك توصليني ؟ (تقع عَلَى الارض مغشية عليها) · شهيدة والياس وداود وخليل وزينة — كلهم يسرعون لمعونتها · داود يأتي بماء ويرش عَلَى وجهها فتفيق بعد قليل)

داود — (بلطف) اعذريني يا ام الياس ··

ام الياس — (بصوت ضعيف غضوب) ابعد عني · ابعد عني · انت اصل السبب · انت كل البلا منك · بنتي كانت مثل الخاتم بالخنصر قبل مـا جيت انت عابيتنا — ريتها ما كانت هاك السـاعة ! (الى زينة) وهلق· بتمشي عاالبيت يما لا ؟

داود — (الى زينة) أتريدين ان تذهبي يا زينة ؟ (زينة تنهض ساكتة وتتجه نحو الباب · ام الياس وخليل يتبعانها)

الياس — لا تخف يا داود !

داود — اذكر وعدك يا الياس ! كل اتكالي عليك ·

الستـار

(البقية تأتي)

الراهبة

لراغب متراج

***

رأيتها تسير بين الجموع و كأنها ليست منهم

تعزي الحزين وتوءاسي المصاب ، وليس من يعزيها او يوءاسيها

أخفى جمالها سواد ثوبها فظهر بياض قلبها باعمالها

تجود بالاحسان عَلَى المحتاجين وتستقبل هزء الهازئين وشماتة الشامتين

بصمت الحكماء وابتسامة الغافرين المشفقين

عَلَى وجهها جمال البشر ، وفي نفسها جمال الالهة

ملاك هبط من السماء ليعلم الناس الصبر والحب والوفاء

في طرفها جمود وفي قلبها نار

ظاهرها طمأنينة وسلام وفي نفسها حرب عوان

جبارة تحارب العواطف والعواصف

في الليل تحلم بالحياة وفي الصباح تدفنها

تسير بين الناس وبينها وبينهم صوت الابدية الرهيب

في كمال نفسها نقص البشر وفي نقصها كمال الالهة

زنبقة نبتت عَلَى ضفاف الحياة ولم تذق طعم الحياة

ونبتة غُرست في اعماق كهف مظلم فحرمت حرارة النور وعناق العاطفة

شبح اسود يسير ببطء خلف الدهور والدهر مسرع على جناح البرق

سراج خطفت زيته يد الاقدار لتضيء به عالماً غير منظور

زهرة قطفت من صدر الحياة ودفنت بين طلاسم الابدية قبل الاوان

هذي هي الراهبة



حكمة عربية

ثلاثة لا يعرفون الا عند ثلاثة
لا يعرف الحليم الا عند الغضب ٭ ولا الشجاع الا عند الحرب ٭ ولا اخوك الا عند الحاجة اليه ٭٭

لقمان



سوق عكاظ

★ ★ ★

ننشر في هذا الباب منتخبات الشعر العصري التي نطلع عليها في الدواوين الجديدة والصحف

البلبل الساكت

تائه في المساء يطلب ملجا   والغيوم السوداء تهطل ثلجا
هجر الحقل والربى والمرجا   انما المرء في الشدائد يُرجى
حين يمسي روض الطبيعة قفرا

بلبلَ الروض والجناح مُبلل   خافت الصوت ساكت فتأمل
نبذته رياضه فتعلل   بحمانا عن الرياض وأمل
ان يكون الانسان اهون شراً

ولج البيتَ خائفاً متردد   ينشد القوت بعد أن كان يُنشد
جاء مستنجدا فكنتُ المنجد   ومسكت العصفور لا لأقيد
بل حناناً عليه والله ادرى

بلبل الروض ، هاك دفئاً وقوتاً   بلبل الروض ، لا تخف ان تموتا
بلبل الروض ما خلقت صموتا   بلبل الروض قد أطلت سكوتا
عد فغرد لا تخشَ ، يا طير ، ضراً

أمنَ البلبل الفصيح فغنى   بعد ان كان ساكتاً واطمأنا
ولكم ساكتٍ فصيح تمنى   لو يتيح الزمان كي يتغنى
ويناغي الاطيار نثراً وشعرا

هبتِ الريح في الظلام فولى   عسكر الغيم والصباح تجلى
فلثمت العصفور بعضاً وكلاً   ثم كلمته كلاماً جلاً
عن مثيلٍ غنى له الطير شكرا

يا كريماً عاملته بالكرامة   صن عهود الرشيد وارعَ ذمامه
هدأ الطبع رافقتك السلامه   حبذا لو غبت معنا الاقامه
انما الحر لا يقيد حراً

(الرشيديات)   رشيد سليم خوري

الى ابن زريق البغدادي

أصاحب « لا تعذليه » سلام   عَلَى زفراتك قبل الحمام
بكيتَ غريباً فأبكيتني   فنفسي ونفسك الفا حمام
دموعك سالت لذكرى العراق   فسالت دموعي لذكرى الشام
وكم شاعرٍ قد بكى قبلنا   عَلَى طللي منزلٍ وغرام
وعاش عَلَى املٍ خُلّبٍ   وما ظفرت نفسه بمرام
اذا ما بنينا قصور الرجاء   رأينا خرائبها والحطام
شقينا كلانا فمتَّ وكدتُ   اموتُ فجسمي براه السقام
ومرَّ شبابي سريعاً ولم   يزُر طيف سعد ولو في المنام
نجاهد خير الجهاد بلا   جزاء فنحن ضحايا اللئام
فوا أسفاه كذاك وُلدنا   لنشقى ولا نعرف الابتسام
فمثلك خضت بحاراً وجبتُ   قفاراً وشبتُ من الاهتمام
فعذَّبت اهلي وذوبت جسمي   ونفسي مطامعها كالضرام
ولم أجنِ الا الندامة مما   غرست وهذا نصيب الكرام
تغردتَ بين الورى بلبلاً   فضاع الصفير وضاق المقام

وشعرك شقّ حجاب العصور ... وذكرك فيه كريمًا الخزام
فردده الخافقان فكان ... لروحك بعد الممات انتقام
وذابت عليه حشاي لاني ... بشعر الشعور كثير الهيام
فنفسك سالت كنفس الهزار ... عَلَى نغَم الشوق والاغتمام
وللحزن اعذب صوتٍ ولحن ... وأرفع شعرٍ وأقوى كلام
وايمان قلبك في الشعر لاح ... يعزيك كالحسن تحت اللثام
وليس لقلبي الجموح عزاء ... ولليأس والشك فيه اصطدام
فكم في القنوط له صيحةٌ ... صداها تردّد تحت الظلام
واشعارنا لغةٌ بيننا ... ولكنها عجمةٌ للانام
فما لغة العرب مفهومة ... من القوم والاكثرون نيام
ضرائرها كدن يقتلنها ... وكدنا نقول عليها السلام
وما عربية هذا الزمان ... كتلك التي رُبيت في الخيام
تحمس جيشاً وتنشد شعراً ... وتعلو الجواد وتجلو الحسام
وافضل من هوءلاء البنين ... عظام الجدود الغزاة العظام
فاين الاباء واين السخاء ... واين الوفاء واين الذمام
لقد ضيع العرب اخلاقهم ... بفرط الصلاة وطول الصيام
ولكننا بالرجاء نعيش ... لعلّ نجوماً وراء الغمام
اذن فلنغن وننسَ الهموم ... فان الحياة الى الانصرام

(الغربيات) « الياس طعمه »

﴿ في حدائق كاشمبو ﴾

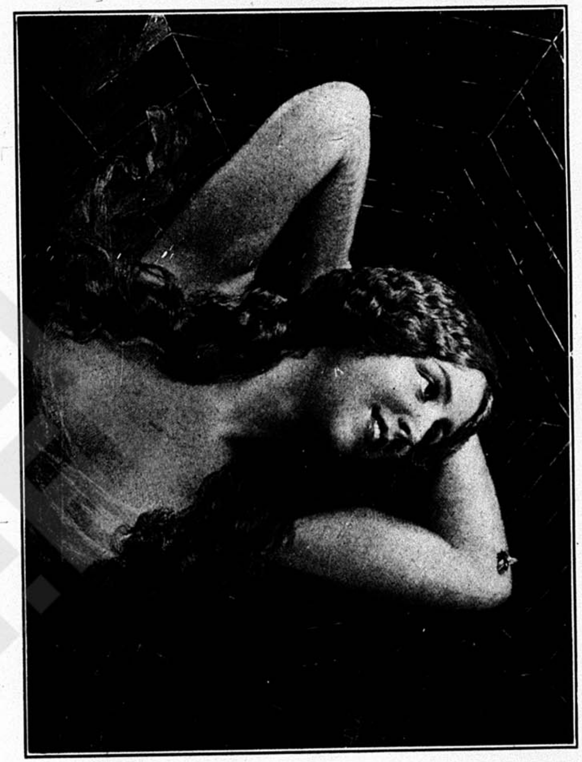
لمـا رأيت رفاقي | يغـازلون الصبـايا
جلست وحدي حزينا | ابكي زمان صبـايا
ايام كنت مليكـا | وكنَّ هن الرعـايا
يحمن كالطير حولي | ويلتمسن رضـايا
ومـا كبرت ولكن | ابلت شبابي البـلايا
ليت المشيب دهاني | ومـا دهتني الرزايا
انفات وقت التصابي | فللتصـابي بقـايا

. .. . .

سعيت اطلب رزقي | عَلَى طريق المنـايا
فضاع بالسعي عمري | وما بلغت مُنـايا
يا عودُ ، لولا التسلي | مـا لامستك يدايا
ولا لصقت بصدري | ولا سمعت غنـايا
حتى يمرَّ زمـانٌ | تروج فيه الدنايا
الحر فيه فقيرٌ | والمومسـات غنـايا

(الرشيديات) « رشيد سليم خوري »

﴿ العنكبوت ﴾ = للمصور سيلز بلدون



ليلة رأس السنة

لامين مشرق

الجو متلبد بغيوم كثيفة تحجب عن الارض انوار النجوم ، وبيوت نيويورك مغطاة بادثرة صفيقة من الظلام ، والمطر يهطل بغزارة فكأن السماء صارت « مصفاة » والله حوّل اليها مجاري جنته

في احد الشوارع بيت تتدفق منه ضجة عظيمة تشبه صوت مطحنة او خرير شلال · قد يسمعها المارون في الشوارع بوضوح ولكنهم لا يتمكنون من روءية مصادرها لان الابواب والنوافذ محكمة الاقفال حتى ليكاد النور يعجز عن التسرب خلال شقوقها · وما هي هذه الضجة ؟ هي اصوات آدمية متنوعة يتخللها اصوات حجار الدومنو والطاولة والورق ممزوجة برنين كوءوس الشراب ومن وقت الى آخر تخترق الجميع صيحة من فم فونوغراف حسن الصوت فيرد عليها الجمع — « الله يا مطرب »

للشرقي عموماً والسوري خصوصاً طريقة خصوصية ينوخاها لاظهار عواطفه في مجالس الطرب — حتى وفي مجالس الحزن ايضاً وهي — الضجة· « الضجة » عندنا تعني « الطرب » فالمجلس بلا ضجة ليس مجلساً ولا اصحابه باهل « كيف » ولو افرغوا في بطونهم كلما تستخرج مدينة زحلة من العرق·

وليس ذلك فقط ولكن هناك امراً يزيد عَلَى امر الضجة وهو — جهل المكان والزمان المناسبين للطرب · من امثال ذلك ما اذكره والذكرى توءلمني عن حادثة جرت امامي في مطعم سوري في نيويورك · الوقت الظهر والمطعم مكتظ بالزائرين · هناك في القرنة الى طاولة صغيرة جلس اربعة رجال يشربون الوسكي فاتحة للغذاء · لم تمض بضع دقائق حتى احمرت عيونهم وانتفخت اوداجهم ونسوا انهم جاءوا للاكل لا للشرب فجعلوا يطلبون الكأس تلو الاخرى والخادم يزيدهم حتى امتلأت ادمغتهم ببخار المسكر وهاجت قريحة احدهم (احسنهم صوتاً بالطبع) فصاح من اعماق قلبه ببيت من العتابا ذهبت من ذاكرتي حرفيته وبقي شيء من معناه وهو ان الرجل كان ناسياً حبيبته فاتت الكأس وذكرته بها (معنى جميل !) ومما زاد في الطين بلة وزاد ايضاً في تفتق قريحته وحماسته وجود سيدتين اميركيتين دعاهما احد السوريين لتذوقا لذة المآكل الشرقية ، فان عينيه الحمراوين لم تتحولا عنهما مع انهما لم تلتفتا اليه الا حين صرخ متغنياً ببيت العتابا وارتج المطعم بصداه · ليتأمل القارىء مبلغ الدهشة التي استولت عَلَى السيدتين والخجل الذي غمر صاحب الدعوة ····!

ربما عرف القارىء من وصف البيت المذكور انه قهوة · لندخل ونرَ · قاعة متسعة صفت فيها الطاولات صفوفاً اربعة تبتدىء من الباب الخارجي وتنتهي قرب المطبخ في الطرف الداخلي الصف الواحد يحتوي عَلَى خمس طاولات ، والطاولة اربعة رجال ، ففي القهوة اذاً ثمانون زائراً ·

اختار من العشرين طاولة اربعاً فقط فأقف واياكم بضع دقائق حول كلٍ منها .

الطاولة الاولى . اربعة شبان اكبرهم لا يتجاوز العشرين سنة يلعبون بالورق .

— « اشلح يا بطرس اشلح . بدي اخطف روح هالاص »

— « ما فشرت . اصي بيقص رقبتك يا حمار »

— « حمار متلك . اشلح تنشوف . »

— « تشوف العمى . خذ هالختيار المكرفح »

— « مو عيب . انا باخذ بنت مثل قلب الصبـاح . خليه نشريكك سركيس »

— « سد نيعاك . شريكي منو فضلة عشاك . بستوني اشلحوا »

— « الله الله كيف بيتمقطع فينا الليله بطرس بك . من اين حضرة الشب ؟ »

— « بستوني اشلحوا . طق . طق . طق »

— « بستوني اشلحوا . طق . طق . طق »

— « خمسين . عدوا الورق وروحوا تعلموا لعب الداكا »

— « ايش ؟ »

— « طلعنا البرتيتا . ادفعوا تنشوف »

هنا يأخذ كل من المغلوبين من جيبه خمس سنتات ويقدمها للغالب .

وبعد ان يتم الدفع يصرخ بطرس — « البرتيتا بعشر سنتات » فيرد الباقون — « بعشره بعشره »

الطاولة الثانية . الفرق بينها وبين الاولى ان الشبان هنا اكبر سناً وانهم يلعبون بالدومنو بدلاً من الورق ويستعملون الريالات بدلاً من السنتات

— « زهري هالليله ملعون »

— « وزهري انا ألعن »

— « حط ريالك يا منصور »

— « خذ . ريتك تنحط »

— « من هلق ورايح الدق بريالين »

— « بريالين بشيطانين . خلصونا طلع الصبح »

— « وطلعت روح منصور من الخساره »

— « واصفرت خلقتو . يا ريتهم سموه مكسور لانه ما انتصر ولا مرء »

— « جهار وياك . حيـاك ابليس وبيـاك »

— « ساه وبنج . حياك ابليس و٠٠و٠٠ وق٠٠٠ وخ٠٠٠ وش٠٠٠٠ »

— « قه قه قه قه . خانت حنا القريحه . يا حيف علَى الشاعر »

— « شاش . هات يا زهر هات . اهلاً . براقو . شرفني الشـاش سكَّرت يا اصحاب . عدوا »

— « مسكين منصور الدفع ريالين هالمره »

بحث منصور في جيبه فاخرج ريالين وضعهما علَى الطاولة بهيأة منكسرة

ومشى الى كرسي في طرف القاعة الداخلي وانطرح بيأس

— « ايش بالك يا منصور ؟ »

— « بطلت اللعب . هذا آخر ما معي »

استلفت الان انظار القرآء الى شاب منفرد بنفسه عن الحاضرين في منتهى الغرفة لا يتكلم ولا يتحرك . وقد كان يشرب كأساً من البيرة فلما رأى منصور وهو صديقه قادماً وطارحاً بنفسه عَلَى الكرسي ترك الكأس وقام فجلس بقربه وجعل يحادثه بهدوء

الطاولة الثالثة . حولها اربعة يدخنون ويشربون القهوة ويتكلمون بصوتٍ منخفض اخف لغطاً من الباقين . ويستدل من لهجتهم انهم من تلامذة المدارس وفتيان العلم ومن طبقة عالية في الشعب

— اما الان وقد اجتمعنا يا اصحاب فدعونا نقضي هذه الليلة كما يرام . هات يا فريد واخبرنا ماذا حدث لك في حياتك من حوادث الغرام فان في صدرك والحق يقال روايات تفوق غصن البان والاميرة فوستا ومغائر الجن بحوادثها العجيبة .

— لقد غلطت يا حبيب فان الروائي الكبير بيننا الليلة هو حليم وليس انا . وطالما قص عليّ العجائب عن انتصاراته في معارك الحب

— انا ؟ لا لا . بينكم من هو افصح مني . ليتكلم نسيم فحديثه لطيف كالنسيم .

— والله قد زدتم في الرقة حتى انقطعتم . يكفيكم دلالاً وغنجاً . «مشوها

وما بتفرق مين بيبتدي حاجي بقا . »

هنا يتنحنح حليم ويجلس مستعداً للكلام

الجميع — حليم براڤو حليم . تكلم تكلم

حليم — اما وقد وقع عليّ اختياركم فانني اشترط عليكم ان تضعوا امامي علبة من السيكارات فانني ارى سيكاراتي قد نفدت كلها

الجميع — يا ولد . هات علبة برنس

حليم — (وقد اشعل سيكارة ومصها) عندي ايها الاصدقاء دور صغير مثلته موءخراً ولا يزال طي الكتمان سأبوح به اليكم راجياً ان تدفنوه في اعماق صدوركم لان افشاءه يضر بسمعتي

الجميع — تكلم . كلنا في الهوى سوا

حليم — من مدة عشرة اشهر او اكثر بقليل حول الساعة السادسة في المسآء كنت ماراً بقرب احدى البنايات فاذا بقبعة نسائية حملتها الريح وضربت بها صدري . وبينما انا امسكها اذا بفتاة جميلة الصورة جداً (صاحبة القبعة بالطبع) قد وصلت ومدت يدها لاخذها قائلة « ثانك يو » بلهجة ضعيفة عرفت منها ومن ملامح الفتاة انها سورية . لا لزوم لان اخبركم انني عرَّفتها بنفسي ومشيت معها الى « الصبواي » ولا لزوم ايضاً بان افصل لكم كيف ملكت صداقتها بعد ايام قليلة بمروري في الوقت ومرافقتي اياها الى القطار ثم الى بيتها بعد ان تمكنت الصداقة بيننا . الخلاصة انه لم يمضِ شهر واحد حتى بدأت الصداقة بالتحول الى حب ففي مسآء يوم سبت من

اذار المنصرم تواعدنا عَلَى اللقآء في مكان معين ثم للذهاب سوية الى التياترو لحضور مشاهد جديدة اعلنتها الجرائد ذلك الاسبوع · الفتاة يتيمة الوالدين وليس لها اقربآء هنا ولذلك فقد كانت تسكن مع عائلة اميركية في بيت لا يقطنه سوريون وهذا مما مهد طرق المواصلة بيننا بحرية · أتقدرون ان تتصوروا مبلغ لذتي حينما كنا جالسين جنباً الى جنب في ظلام التياترو كم شعرت بالنار تتأجج في صدري وكم هممت ان اضمها وارنوي من تقبيل شفتيها · الله عَلَى تلك الدقائق اللذيذة · وآه لو رأيتم وجهها حينما خرجنا من التياترو واحس ببرودة الطقس كيف تحول بياضه الى حمرة بدقيقة · أرأيتم تفاح كليفورنيا الاحمر الكبير ؟ فشر الف فشرة عند تلك الوجنتين الورديتين · كان البرد شديداً في الشارع حينما خرجنا وكانت الساعة الثامنة مسآء والليلة مظلمة · ويظهر ان الانتقال الفجائي من حرارة الداخل الى برودة الخارج اثر عَلَى صاحبتي فرأيتها ترتجف بشدة واسنانها تصطك بسرعة · ولذلك اقنعتها بعد الممانعة الطويلة ان نذهب الى محل قريب لتشرب جرعة من الوسكي فيزول عنها انزعاجها · دخلنا الغرفة والمسكينة لا تعرف اين هي لشدة ألم الصداع في رأسها · وبعد ان اتى الخادم بطاولة الشراب واقفل الباب جلست الى جانبها وشرعت اسقيها الكأس بعد الاخرى وهي ترفض اولاً ثم تقبل مكرهة لمسايرتي · لكن الوسكي زادت في آلامها وبينما انا اصب الكأس الاخير ارتجفت بعنف ومالت عَلَى المتكأ وقد غابت عن الصواب

هنا بلع الثلاثة ريقهم وزادوا اصغآء · وصمت حليم برهة متأمـلاً

بدخان سيكارته المتصاعد نحو السقف ثم ضحك قليلاً واردف — لم أرها بعد تلك الليلة · وهي الصيدة الوحيدة التي افلتت من يدي · مسكينة ما اطهرها وما اشد صفآء قلبها

فريد — (مبتسماً) افضل العزاء والسلوان لك يا حليم

حبيب — (ضاحكاً) يحق لك الفخر والمباهاة بانتصاراتك عَلَى الجنس اللطيف ·

نسيم — (غامزاً بطرفه) من سوريات واميركيات وكل اجناس الشعوب ·

حليم — (طاوياً الورقة بعظمة) جآء دوركم · هاتوا يا كدعان · اخبرنا يا نسيم عن صديقتك الاميركية الشقراء ·

الطاولة الرابعة · اربعة قد لعبت بروءوسهم ابنة العنب

انطون — (مترنحاً) « ··· وسليمان الحكيم عليه السلام قال — قليلاً من الخمر يفرح قلب الانسان — ومين بعد لازم نصدق اذا ما صدقنا عمنا سليمان — كل القديسين ورجال التوراة علمونا الشرب واولهم جدنا المرحوم نوح يرحم عضامو فقع سكره وخزق تيابو وترك التسعه تلحق التسعين — وبالانجيل ايش بيقولوا عن المسيح ؟ ما حول الموي لخمر احمر بعرس قانا الجليل نايشربوا الشباب ويشبعوا ؟ واليوم بيجيك شي قسيس منتوف اللحيه وبيقلك يا ابني لا تسكر الله ما بيريد — ولو — الله عينو ضيقه لهالدرجه — عنده خمر وبسط كثير بالسما وما بيلتفت عهالقنينتين اللي ما بيشبعوا زلمي — قولولي بتكذب !— وتنحسب انو ربنا طميع — وشايفلكم هيك ارجع —

منعزمو ومنسكر سوا — ايش يا ملحم ؟ — واذا ما رضي وستين سنه لا يرضى — يحرق دي... يا ربي بلا خطية عهالعبكرة الصبح — خليه يعمل اللي بعقلو .»

ملحم — « دستور بكلمه بلا قطعاً بحديثك — وتصديقاً لكلامك كان عنا بسينه جابت جرو — ولمن كبر صار يغلبها — ربنا جابنا ؟ مظبوط — ربنا خلقنا ؟ عاعيوني — ولكن نحنا كبرنا — وبعد كل هالشرح خلونا من المذكور — نحنا ملايين وهو واحد — والمسيح عليه السلام قال — ضعيفين بيغلبوا قوي — لا تواخذوني يا اصحاب انا بحب هالرجال — حكياتو بيعجبوني — بيعجبوني مثل كاس العرق — سركن يا اخوان — كاسك يا خيي مخول — آي وين كنا وصلنا ؟ العرق . نعم . العرق — وتصديقاً لكلامكم كان في عجل بضيعتنا عند بوجريش — فلت عاخابيه العرق وما شال بوزو تاخلصها — اذا كانت البقر بتسكر ايش بتعمل البشر ؟ — ريتني اعمى من التنتين ان كنت عن اكذب — ولكن الحمد لله عينيي طيبين — ولو ما هيك ما دخلت عهالبلاد — الله لمن طلعنا بالجزيره كيف بقت قلوبنا تدق من خوف الرجعه — وتصديقاً لكلامكم ما حدا منا رجع غير واحد من بتغرين — مسكين هاك الرجال كان عليه صوت متل صوت القصب و... »

مخول — « بردون . بترجاك : — البتغريني ما رجع ولا شي — صحيح بقي يومين بالجزيره وعاد فلتوه واليوم قاعد بالسوت بلوسفل كنتاكي —

يا عيني ما احلى هاك المدينه — اسألوا زعيتر بيعرفها — كاسك يا زعيتر — محبه يا اخوان — زعيتر ؟ نعم زعيتر رجال من اليعجبوكم — مرّه بعيد مار الياس عليه السلام قام الجرن الكبير لفوق راسو وكانت كل شباب الجرد الكدعان موجوده — الصليب حولو — وحملة الحطب اللي كان يشلحها متل رغيف الخبز ما في ابن مرا بيقوم فيها — يا روحي ما احلى هاك الايام — وبطرس الطيون كان عندو جمل اشتهرت ضيعتنا فيه متلما اشتهرت بزعيتر — ليك يا خيي انطون في قشه بكاسك — يخرب بيت هالصبي ما بيجيب شي نضيف — واذا كان ما بيجيب شي نضيف فالمعنى انو مجوي — واذا كان مجوي فالمعنى انو مقلعط — وان كان مقلعط لازملو غسله بنهر الاردن — وان ما تنغسل بكسر دين راسو بهال... »

زعيتر — « هدي حالك يا خيي مخول الصبي ما عليه حق لكن الحق عهالختياره الملعونه ام شاهين اللي بتغسل اواعي القهوه — والله لو ما كانت مرا كنت بحني كفي بدما — المهلهل حنى كفو بدم جساس ابن مره — المهلهل بطل صحيح ولكن كليب الله يرحم عضامو كان ابرع بضرب السيف — مين بيعرف وصية كليب لاخوه اللي كتبها بالدم عالبلاطه ؟ — البلاطه البلاطه الله ما اسرع الفكر — تذكرت البلاطه اللي كنت اقعد عليها انا وحبيبتي طروز عند نبع الفوار — آه يا اصحاب يلعن هالايام اللي وصلنا ليها — يا هل ترى منرجع لبلادنا ومنشوف حبابنا ؟ — الله يحرق شوارب عبدالحميد اللي دخلنا بهالحرب و... »

انطون — « هش هش · هدي جحشتك يا فيلسوف زعيتر — عبدالحميد محبوس من زمان وملك تركيا اليوم مدحت باشا »

— « بتكدب يا حمار — مين هاللي بيقدر يحبس السلطان »

— « حمار متلك يا تيس — لا تجفي كلامك »

— « تيس ابوك يا ابن كيت وكيت — بدي اخلع نيعك بهالصرمايه »

— « انت · يا برغوت المزبله ؟— جرب حالك يا خنزير »

هنا يهجم زعيتر عَلَى انطون فيفصل مخول وملحم بينهما وبعد القيل والقال وتجمهر كل من في القهوة تعود المياه الى مجاريها

— « يا زعيتر بوس خيك انطون · يا انطون بوس خيك زعيتر »

ومضى كل شيء · ولكن قبل ان يرجع الجميع الى مجالسهم وقبل ان تنفرط حلقتهم المجتمعة حول المتخاصمين وقف الشاب المنفرد الذي اشرنا اليه سابقاً (الذي ترك كأس البيرة وجلس بقرب منصور يحادثه) وقال بصوت جهوري — « ايها الاخوان جميعاً »

تحولت الوجوه حالاً الى جهة الصوت واستقرت العيون جميعها عَلَى ذاك الشاب الواقف بهيأة الخطيب فردد —

— ايها الاخوان الاعزاء · ربما ازعجت خواطركم باخذي من اوقات لهوكم بضع دقائق ولكن الليل طويل ونهار غد بطالة فلا ينقص كثير من سعادتكم · لست اقصد ايها الاخوان ان القي عليكم خطاباً لانني اولاً لست من اهل الخطابة وثانياً ليس هذا المحل لهذه الغاية · وانما قصدي ان ابدي

لكم رأياً عساكم توافقونني عليه · فقد خطر ببالي اننا نقدر ان نصرف هذه الليلة بصورة غير التي ابتدأنا بها وهي بعرفي افضل واكثر نفعاً · فما قولكم لو جمعنا الكراسي في نقطة واحدة بشكل دائرة وجلسنا جميعنا الواحد بجانب الاخر ولعبنا لعبة « المركب » وفرضنا عَلَى كل مغلوب عشرة سنوت يدفعها كلما اخطأ مرة ؟ في هذه القاعة ثمانون فرداً فاذا غُلب كل منا مرة واحدة كان المجموع ثمانية ريالات نقدمها غداً الى لجنة اعانة المنكوبين · فبهذه الطريقة ننفع وننتفع · ننفع اهلنا البائسين في الوطن ونساعد في حفظ حياتهم وننتفع من وجهين الاول اننا نكسب اجرهم ونعود نفوسنا عَلَى الشعور الحسن والثاني اننا نريح اجسادنا من وطأة المشروبات المضرة ونتلاهى عن الكلام القبيح

قه قه قه قه ··· صرخ الجميع ضاحكين وامتلأت القاعة حالاً بضجة الاستهزاء والصفير و « الهوبرة »

— « نطقت حمارة بلعام بالآخر نشكر الرب »

— « عاد الناسك من قرنتو للعالم · كيف حال القرنه من صوبك ياعم »

— « حكي سليم الساكت ومدري حمار مين بدو يموت »

— « برافو سليم بيك · اجاد الاخرس »

— « اتركو الخطيب يخطب يا ناس · ربنا بعت « الكركوز » بوقتو »

— « اهلاً بلويد جورج · اهلاً بميرابو · اهلاً بالحج سليم »

خطر ببال سليم ان يترك القاعة هرباً من هذا الاستهزاء المر واسرعت دقات قلبه وتحلب العرق من اطرافه وارتجفت اعصابه خجلاً وغضباً ·

ولو ان غيره في محله لسكت حالاً وذهب لكنه لم يكن ممن يثني عزمه لاول عثرة بل بقي في قلبه بصيص من الامل فجمع افكاره المبعثرة واردف بصوت شديد ارغم القوم عَلَى السكوت —

— لماذا تضحكون ايها الاخوان وليس في كلامي ما يهيج الضحك ؟ انا قلت لكم اننا نقدر ان نقضي هذه الليلة بطريقة اشرف وافضل من طريقتكم ولا ازال اردد كلامي . عار عليَّ وعليكم ان نصرف الريالات الكثيرة عَلَى بطوننا وملذاتنا الجسدية واهالينا يقرعون الابواب طلباً للقوت . عار علينا ان نأكل فوق الشبع ما يحفظ حياة الالوف من الموت . عار والف عار ان نستقبل العام الجديد بتهاليل السرور واللهو والبطر بينما امهاتنا واخواتنا واخواننا واباؤنا واقرباؤنا وكل من لنا تحت هذه الشمس ينظرون اليه كعام الويل والفناء بعيون دامعة وبطون جائعة وقلوب منكسرة ومهج منفطرة وآمال ذاوية ونفوس خاوية ترتجف لهول الموت الراقص حولها يختطف منها كل يوم وليمة دامية . عَلَى ماذا تضحكون ؟ أعلى افواه الصغار المنفتحة كأفواه العصافير تطلب طعاماً فلا تعطاه ؟ بماذا تستهزأون ؟ أبتوسلات امهاتكم المحلولات الشعور المنحلات الظهور ام بصراخ اخواتكم المهتوكات الاعراض عَلَى قارعة الطريق ؟ يا لنخوة الرجال يا لحمة الابطال ! اكذا يجازي الابناء والديهم . اكذا تنسون مساقط روؤسكم ؟

انطون — « ما سقط غير راسك يا حمار . نحنا روسنا قويه »

زعيتر — « والله لوما القيمه لهالكاس المليان كنت بفرجيك يا كلب العرب مين بيسقط راسو »

حبيب — « حاجي بقا يا بارد . عدنك عسل قرفت نفوسنا »

فريد — « وتمزقت مصاريننا يا هوا الاصفر . انزل يرمو رقبتك »

حليم — « بطل يا مجنون نحنا منعرف اهلنا محتاجين من دون وعظتك . روح لعند صاحبتك لبيبه بركي بتعطيك « بسطرينه » احم احم »

هنا لم يعد في طاقة سليم الاحتمال والصبر وانطفأ آخر بصيص امل من ذلك القلب الكبير فاطلق للسانه العنان وصاح —

— انا اذهب ؟ لا . ليس الان ولكن بعد ان ابصق في وجوهكم ايها الصعاليك . بدأت بالكلام وساكمل لان ضجيجكم الدنيء يعجز عن اسكات صوت الحق والشرف . اتيت هذه الليلة لاعلمكم درساً باللطف فلم تتعلموا هكذا الحمير لا تطيع الا بالعصا . جئت اتخذكم لي اصدقاء فقابلتموني بالعداء . هكذا الجهال يبدلون الصداقة بالعداوة اينما حلوا . حاولت ان اجعل منكم رجالاً محترمين فابيتم الا ان تظلوا صعاليك استهزاء وخساسة . فليكن كما تريدون . ولكن افتكروا ان كانت لكم روؤس تفتكر واشعروا ان كانت لكم قلوب تشعر انكم لا تهزأون بي هذه الليلة ولكنكم تهزأون بوطنكم وبامتكم وبنفوسكم . من انا ؟ انا لست الا آلة تردد عَلَى مسامعكم انين القوم البائسين فاذا اعتبرتم قولي اعتبرتموهم وان احتقرتموه احتقرتموهم واما انا فاظل خارجاً عما تقولون وتفعلون . ايها الجهال ! ضحكتم مني اولاً لسكوتي ولكن أليس السكوت افضل من عواصف الكلام البذيء الفارغ ؟ ثم عدتم

فضحكتم لكلامي ولكن أليس كلامي اشرف من عربدة السكر ولعنات القمار ؟ أليست الاحاديث الوطنية ارفع من قصص العشق وتذكارات الغرام الفاسد ؟ أليس عمل الاحسان اسمى من لعب الورق والدومنو ومن التدخين والتحشيش ؟ تقولون انها ليلة رأس السنة وانها ليلة ثمينة يجب ان تغتنموها حسن . ولكنكم قد اضعتموها فهل تعرفون ؟ ان الليلة التي تُقضى بالتجديف عَلَى الخالق والاستهزاء بآلام الوطن لهي رخيصة بخسة — وليس هذا فقط — بل هي رجسة دنسة . وانتم انتم بخستموها وانتم انتم دنستموها . الفرح ؟ وما هو الفرح ؟ هو عاطفة عمياء قبيحة تشوه معانيَ النفس الجميلة . هو شعور الانانية يقف فاصلاً بين القلب وبين اشعة شمس الفضيلة والمحبة . هو جنون في الروح يحول نسماتها اللطيفة الى عواصف ثوّارة تسفي في عيونها الرماد والرمال . ولكنكم قد تعودتم عَلَى الاذى فانتم لا تشعرون وقد ملأت عواصف الفرح الكاذب عيونكم برمادها ورمالها فانتم لا تبصرون . اهذا هو الفرح عندكم يا عميان ؟ اهو ان تسكروا وتدخنوا وتلعبوا وتتخاصموا وتصيحوا وتقلقوا الحي بضجيجكم ؟ اهو ان تعلفوا بطونكم وتسمنوا اجسادكم وتلتذوا بكل ما لكم من الحواس اللحمية القذرة ؟ جل العيش عنكم يا خنازير الشحم واللحم وسمت الحياة عن صغارتكم يا بطون الاكل والشراب . انتم اموات والموتى لا يشعرون .

الضجة تشتد واللغط يتزايد والسكارى الاربعة يهمون بالوصول الى المتكلم لاسكاته فيتعثرون بالكراسي ويسقطون . الشتائم تصب من كل

فم عَلَى رأس سليم لكنه لا يسمع ولا يرى . يقف لحظة لتجديد نفَسه المنقطع ثم يعود متدفقاً بصوت يتهدج حماسة وهياجاً —

— ماذا ؟ اتودون اسكاتي . اتحاولون قتالي ؟ تقدموا يا جبناء ان استطعتم . تعالوا اقطعوا لساني واذبحوني ثم ارجموني ثم اصلبوني . انا عدوكم . انا عدو الجبانة والخساسة وسفالة النفس أفهمتم ؟ تعالوا انتقموا لانفسكم فاموت شهيداً كالمسيح واستفانوس ومحمد المحمصاني . تعالوا احرقوا جسدي الحقير ثم اطحنوه وذروه في الهواء فاموت كجان دارك الباسلة ولكن لا . انكم لا تستطيعون ان تهبوني هذه النعمة . من انتم ايها الثعالب؟ انتم حيوانات دنيئة قذرة تعيش بالحيلة والتذلل . انتم دبابات ضعيفة خبيثة خائفة تسرح في حلك الليل لتباغت فريستها بايادي الغدر . ما هي الشجاعة في عرفكم يا جبناء ؟ الشجاعة ليست في التجديف عَلَى الخالق والكفران بالحقيقة . وليست في احتقار الناس والاستهزاء بكلامهم وليست في اجتراع قناني الوسكي ليقال عنكم « شريبين ما شالله » وليست في حمل الاثقال والمباطحة والمكابشة كما هي عادة الاكباش والتيوس والجمال وليست في التعدي عَلَى الناس بلا سبب وليست في مخادعة البنات المسكينات وغدرهن بطرق الروغ والفساد . ان الشجاعة — الشجاعة الحقيقية — هي المحاماة عن الضعيف والانتصار للحق والتمرد عَلَى كل قوة مستبدة . ان الشجاعة هي الثقة بالنفس والاعتراف بالخطأ . ان الشجاعة هي حفظ الجميل ورد المعروف واغاثة الملهوف . ان الشجاعة هي الموت في الدفاع عن الوطن —

الوطن — الوطن ...

هنا تترقرق دمعة في عين سليم فيمسحها قبل ان تتدحرج ويردف —

هناك ! هناك ! تحت سحب الدخان وبروق المدافع ورعودها وبين قصفات صواعق الموت ووثبات جحافل الويل والفناء . هناك ! هناك وطنكم . ارض سقتها ايادي الخيانة غيوثاً من الدم الاحمر بدلاً من غيوث السماء واطعمتها لحوم البشر بدلاً من سماد المواشي فهي يابسة عقيمة جرداء . غلتها الشوك والقطرب مكان الحنطة والشعير والعوسج والعليق بعد العنب والتين والزيتون . هذه بلادكم . اواه . وامة فيها تتراكض الى هنا وهناك جائعة خائرة خائفة تلتهم في طريقها الاعشاب اليابسة ممزوجة بالتراب ثم تسقط في آلامها وتموت . هذه امتكم . هؤلاء امهاتكم وآباؤكم واخوتكم وذووكم يا نزلاء نيويورك . نفوس بائسة ، ارواح متكسرة ، قلوب منسحقة ، اجسام متهدمة ، شبان على المشانق متدلية ، كهول على النطع مذبوحة ، نساء كالاخيلة يقرعن الصدور ويقتلعن الشعور ، صبايا كالملائكة يتخبطن في ايدي شياطين الشهوات متوسلات متذللات مستغيثات صارخات ، اولاد كالاشباح يئنون في زوايا البيوت مفكرين بقشور البرتقال وفضلات الارز كما يفكر الفريق برؤوس الجبال . شعب من لحم ودم يعاني آلام النزاع ويتخبط في بحار من دمه بلا نصير ولا امل ! فما انتم هنا فاعلون ؟ الجوع يدفعهم الى البحر والبحر يقذفهم الى الصحراء والصحراء ترجمهم الى الديار الخالية وهناك بين السيف والنطع والمشنقة والصلب والطوى والرصاص

والفضيحة والتعذيب يقفون مستسلمين خائفين صامتين وينظرون الى السماء محدقين باطرافها الواسعة ومن وقت الى آخر يلتفتون الى مغرب الشمس ويتمعنون في حدود البحر البعيدة علهم ان يروا ولو نقطة سوداء يعللون بها نفوسهم الواقفة بين الموت والحياة . ولكن واأسفاه ! ان من يعللون بهم نفوسهم يفرحون بليلة رأس السنة ويتلذذون بالمأكول والمشروب ويتلاهون عن ارواح تسعدها كلمة من افواههم وتحييها كسرة من فضلاتهم . يا لنكران الجميل ! يا لخساسة النفوس . ارض شربتم ماءها ونشقتم هواءها ، وحمتكم ربوعها واسعدكم ربيعها ، تصرخ اليكم فلا تسمعون ، وتمد نحوكم اذرعها فلا تنظرون . ام ولدتكم باوجاعها ، وغذتكم بلبنها ، وربتكم بآلامها ، واب اطعمكم دماء القلب ، وسقاكم عرق الجبين ، واخ صغير يذكركم مع ذكر الله ويتشوق لرؤيا وجوهكم ولو في الحلم ، واخت بللت صدرها دموعها ، وطال ضناها وقل هجوعها ، تذكركم بحرقة وحنين ، وتصلي قارعة صدرها لرجوع الغائبين ، يشكون اليكم آلامهم فتضحكون ، ويبسطون لديكم اشواقهم واحزانهم فتهزأون ! لو كانت لكم ذرة من شعور الانسان ، لو كانت لكم حبة من الشرف لقلتم للجبال اهبطي علينا وللبحار ابتلعينا . لو كنتم بشراً لقضيتم هذه الليلة جاثين على ركبكم في الشوارع صامتين صمت الحزن العميق مشاركين امتكم الجاثية بتضرعاتها ، مشاطرينها بعض آلامها وعذاباتها . ولكن لا فانكم لن تفعلوا واذا كانت حياة الشرق من اكف خونة امثالكم وكيانه من كيانكم فليمت ولينقرض قبل ان تدنسه

منّة الخائنين .

اضحكوا يا كلاب . اضحكوا يا خنازير . اضحكوا يا جراثيم كل دناءة وخساسة ومذلة وقذارة في الوجود . ولكن التاريخ سيسطر لكم ذكراً يبصق عليه اولادكم ويلعنه اولاد اولادكم . وستلعنكم الحياة كما لعنت قايين وستنبذكم الامم وتقبحكم الشعوب فتحيون هاربين في الارض هائمين عَلَى وجوهكم ضاربين في البراري والقفار لا تعرفون وطناً ولا يعترف بكم وطن . حينئذ لا يهنيء واحدكم اخاه بعام جديد بل تصبح ليالي روءوس السنين سهاماً من نار تخترق قلوبكم وسيوفاً من لهيب تقطع احشاءكم واشواك غصص تدمي حناجركم . يومئذٍ تأكلون خبزكم معجوناً بالدم وتشربون مياهكم ممزوجة بالعلقم . يومئذٍ لا تضحكون ايضاً ايها الضاحكون

وخرج

. . . .

في مساء اليوم التالي التقى سليم باحد معارفه في الشارع فامسكه الاخير ووقف متفرساً في وجهه بطريقة مدهشة . وبعد دقيقة مضت بالسكوت تاركة سليم باشد الحيرة والاستغراب قال — « سليم ! اخي . عيوني . تقبرني . ايش صابك مبارح ؟ خبروني الناس انو حكمك عارض جنون بالقهوة وضحكت الحاضرين عليك والخبر منتشر اليوم بكل المدينة . خبرني بحياة الله . صحيح ؟ متلما قالوا ؟ »

— نعم صحيح .

الرواية التمثيلية العربية

(توطئة لرواية « الاباء والبنين »)

لمخائيل نعيمه

* * *

حنق البعض عَلَى الغرب لاعتقادهم ان المدنية الغربية نفثت في حياتنا الجميلة الطاهرة ، الراتعة بأمن تحت اجنحة الملائكة والقديسين ، روح فسق وخلاعة وكفر . وتغنى الآخرون بعظمة الغرب فصاحوا بنا — هيا نعبد الغرب وكل ما خلقه الغرب !

اما نحن فنرى الافضل ان نقف عَلَى الحياد بين اولئك وهوءلاء تاركين لهم حق تسوية خلافهم بالمدى والفوءوس اذا أرادوا ، بشرط ان لا يعارضونا اذا تجاسرنا ان نعترف ولو بفضل واحد للغرب -- وهو فضل ادابه عَلَى آدابنا

ما تعوّد البعض ان يدعوه « نهضة ادبية » عندنا ليس سوى نفحة هبت عَلَى بعض شعرائنا وكتابنا من حدائق الآداب الغربية ، فدبت في مخيلاتهم وقرائحهم كما تدب العافية في اعضاء المريض بعد ابلاله من سقم طويل . والمرض الذي ألمّ بلغتنا اجيالاً متوالية كان شللاً أوقف فيها حركة الحياة وجعلها ، بعد عزها السابق ، جيفة تتغذى بها اقلام الزعانف المستعبدين وقرائح « النظّامين » والمقلدين . اما اليوم فقد رجعنا الى الغرب ، الذي

كان بالامس تلميذنا ، لنقتبس عنه امثولة جعلناها حجر زاوية « نهضتنا الادبية » . وتلك الامثولة هي ان الحياة والادب توأمان لا ينفصلان ، وان الادب يتوكأ على الحياة ، والحياة — على الادب ، وانه — أعني الادب — واسع كالحياة ، عميق كأسرارها ، ينعكس فيها وتنعكس فيه . أدركنا — بفضل الغرب — أن نظم الشعر ممكن في غير الغزل والنسيب ، والمدح والهجاء ، والوصف والرثاء ، والفخر والحماسة . لذلك اطربتنا نغمة بعض شعرائنا الحديثيين الذين تجاسروا ان يتعدوا هذه الحدود المقدسة . وانتقلت الينا — بفضل الغرب كذلك — الرواية ، أو ما يدعونه بالانكليزية (نوفل) وبالافرنسية (رومان) . وكنا اسبق الناس اليها ، فوجدنا فيها مجالاً واسعاً لوصف الحياة والتأثير على العقول والقلوب بواسطة القلم ، وادركنا ان النثر لا ينحصر في صف الكلام المسجع ، والاكثار من الالفاظ الشاردة المدفونة في بطون المعاجم ، وتحبير المقالات المملة في مواضيع مبتذلة . فقام بيننا بعض من جربوا ان يمثلوا حياتنا اليومية في روايات وطنية .

وهذه خطوة الى الامام .

لكن « نهضتنا الادبية » لا تزال في الاقمطة ، وما نطقت به حتى اليوم ليس سوى لثغ طفل لا يزال مقيد اللسان ، محدود العواطف ، ضعيف العضل . وقد لا يحق لنا أن نلومها على هذا الضعف . لكننا لا نكتم ان رجاءنا بمستقبلها يضعف عندما نراها قد أهملت باباً كبيراً من ابواب الادب لو خير الغرب بينه وبين بقية الاساليب الكتابية لاختاره دونها . نحن نعني — الدراما

الدراما رافقت الآداب الغربية منذ نشأتها حتى هذه الساعة فاصبحت ركناً من اركانها . واقام لها الغربي المعاهد التمثيلية (التياترو) فأصبحت هذه جزءاً من حياته اليومية كالمدرسة والبيت والكنيسة . في التياترو تجد نفسه الجائعة المثقلة باتعاب العمل وهموم الحياة راحة وتعزية وقوتاً . من أوحال عيشته التي يشابه صباحها مساءها ويومها أمسها ترتفع روحه الى عالم تجول فيه العواطف البشرية بين جميلها وقبيحها ، وضعيفها وقويها ، وشريفها ودنيئها . يرى بعينه على المسرح بشراً مثله غائصين في معركة الوجود يكشفون أمامه اسرار قلوبهم ومخبآت ضمائرهم فيجد في هذه الاسرار وبين تلك المخبآت قسماً من الذات التي يدعوها « انا » ويستعين ببعضها على اصلاح نفسه والاضافة إلى خزانة اختباراته . يضم الموءلف والممثل قواهما — الاول بافكاره والثاني بصوته وحركاته — ليخترقا حرمة انفراده الذاتي ، فيدخلان زوايا قلبه ويمسان كل اوتاره ويفتشان بين طيات ضميره ويحركان دولاب افكاره — وبالاجمال يوقظان فيه كل قوى الوجود فيشعر انه كائن حي ورب كلمة تقع في اذنه فيحتضنها للحال عقله وتختمر بها روحه ، أو رب حركة من يد الممثل ينتفض لها قلبه ، أو رب مشهد يهزه بكليته كما تهز العاصفة شجرة من جذورها . لكن هذا التأثير في السامع والناظر لا يمكن احداثه الا اذا كانت الرواية مشهداً حياً من مشاهد الحياة الحقيقية وكان الممثل قادراً على فهم افكار الموءلف وغايته وتفسير هذه الافكار وتأدية تلك الغاية الى السامع بواسطة الصوت والحركات . فلذلك يتوكأ الموءلف على

الممثل ، والممثل عَلَى الموءلف · وغير خفي ان افضل الروايات في يد ممثل ضعيف تضيع كل قوتها ورونقها ، وبالعكس — ان الممثل الحاذق يلبس احياناً ابخس الروايات حلة جمال وقوة · ولذلك رفع الغرب شأن الممثلين كشأن الموءلفين فأجزل عطاهم بالمال واحاطهم بالشهرة في الحياة ، وطيب ذكرهم بعد الموت ·

فماذا فعلنا نحن ؟

نحن لا نزال ننظر الى الممثل نظرنا الى « بهلوان » والى الممثلة كعاهرة ، والى التياترو كمقصف ، والى التمثيل كنوع من القصف واللهو · شعبنا لم يدرك بعد اهمية فن التمثيل في الحياة لانه لم ير بعد روايات تمثل امامه مشاهد من حياة يعرف ألفها ويائها ، لم يرَ بعدُ نفسه عَلَى المسرح · واللوم عائد عَلَى كتابنا لا عَلَى الشعب · جلّ ما قدمناه حتى الان الى الشعب من الروايات التمثيلية ينحصر في بعض روايات معربة اكثرها من سقط المتاع وكلها غريبة عنه ، بعيدة عن اذواقه ، قصية عن مداركه · انا لا أشك قط في اننا سنرى عندنا ، عاجلاً أو آجلاً ، مسرحاً وطنياً تمثل عليه مشاهد حياتنا القومية · انما يقتضي لذلك قبل كل شيء ان يحول كتابنا انظارهم الى الحياة التي تكر حولهم كل يوم ، الى حياتنا بعجرها وبجرها ، وافراحها واتراحها ، وجمالها وقباحتها ، وشرها وخيرها ، وأن يجدوا فيها مواد لاقلامهم — وهي غنية بالمواد لو دروا كيف يبحثون عنها

يبشرنا الانقلاب الذي طرأ موءخراً عَلَى آدابنا بقدوم تياترو وطني ولو

كانت العقبات في طريقه لا تزال كثيرة · من هذه العقبات وهم اجتماعي لا يزال راسخاً في عقول الكثيرين هو ان التياترو يفسد الاخلاق الطاهرة — لا سيما اخلاق البنات والنسآء · رحمتك يا ربي ! ومنها فقرنا الى الكتّاب الروائيين والروايات التمثيلية الوطنية · لكن أكبر عقبة صادفتها في تأليف « الاباء والبنين » — وسيصادفها كل من طرق هذا الباب سواي — هي اللغة العامية والمقام الذي يجب ان تُعطاه في مثل هذه الروايات · في عرفي — واظن الكثيرين يوافقوني عَلَى ذلك — ان اشخاص الرواية يجب ان يخاطبونا باللغة التي تعودوا أن يعبروا بها عن عواطفهم وافكارهم وأن الكاتب الذي يحاول ان يجعل فلاّحاً امياً يتكلم بلغة الدواوين الشعرية والموءلفات اللغوية يظلم فلاّحه ونفسه وقارئه وسامعه ، لا بل يُظهر اشخاصه في مظهر الهزل حيث لا يقصد الهزل ويقترف جرماً ضد فن جماله في تصوير الانسان حسبما نراه في مشاهد الحياة الحقيقية · هناك أمر آخر جدير بالاهتمام متعلق باللغة العامية — وهو ان هذه اللغة تستر تحت ثوبها الخشن كثيراً من فلسفة الشعب واختباراته في الحياة وامثاله واعتقاداته التي لو حاولت ان توءديها بلغة فصيحة تكون كمن يترجم اشعاراً وامثالاً عن لغة أعجمية · وربما خالفنا في ذلك بعض الذين تأبطوا القواميس وتسلحوا بكتب الصرف والنحو كلها قائلين ان « كل الصيد في جوف الفرا » وأن لا بلاغة او فصاحة او طلاوة في اللغة العامية لا يستطيع الكاتب ان يأتي بمثلها بلغة فصحى · فلهوءلاء ننصح ان يدرسوا حياة الشعب ولغته بامعان وتدقيق ·

الرواية التمثيلية ، من بين كل الاساليب الادبية ، لا تستطيع ان تستغني عن اللغة العامية . انما « العقدة » هي اننا لو اتبعنا هذه القاعدة لوجب ان نكتب كل رواياتنا باللغة العامية اذ ليس بيننا من يتكلم عربية الجاهلية او العصور الاسلامية الاولى ذاك يعني انقراض لغتنا الفصحى . ونحن بعيدون عن ان نبتغي هذه الملمة القومية . فاين المخرج ؟

عبثاً بحثتُ عن حلٍ لهذا المشكل فهو اكبر من أن يحله عقل واحد . وجلّ ما توصلت اليه بعد التفكير الطويل ان اجعل المتعلمين من اشخاص رواياتي – كداود والياس وزينة وشهيدة وناصيف بك – يتكلمون لغة معربة . والاميين – كأم الياس – ان تتكلم اللغة العامية . أما خليل سماحه – وان لم يكن أمياً تماماً – فقد رأيت الاحرى ان اجعله يتكلم العامية لانها توافق اطباعه ومداركه . وكذلك موسى بك في حديثه مع ام الياس وفي بعض المشاهد التي تليق بها اللغة العامية اكثر من الفصحى . لكنني اعترف باخلاص ان هذا الاسلوب لا يحل « العقدة » الاساسية . فالمسألة لا تزال بحاجة الى اعتناء اكبر رجال اللغة وكتابها

والمشكل الاخر الذي وقفت امامه حائراً سائلا هو ضبط كتابة اللغة العامية بطريقة تزيل الالتباس والابهام وتؤدي اللفظ المقصود . تركت أمر « اللهجة » التي تختلف كثيراً باختلاف المقاطعات والامكنة الى فطنة الممثل وحذاقته لكنني احجمت تهيباً عن أن اضع لاجل هذه الروايات وحدها اصطلاحات لضبط الكلام العامي . ونحن بحاجة ماسة الى هذه الاصطلاحات

اذا احببنا ان نقترب من الشعب ونهذبه باقلامنا . العامة تستعمل حروفاً لا وجود لها بين حروف الهجاء المعروفة مثل (G. E. O.) الافرنسية وتلفظ القاف في اكثر المحلات كالهمزة . فيجب ان نضيف الى لغتنا بعض اصطلاحات تقوم مقام هذه الحروف . انما يجب ان تكون هذه الاصطلاحات عمومية كي لا يحدث تبلبل وتشويش حيث نقصد اتفاقاً ووحدة . فمن يقوم لنا بهذه المهمة ؟ لو كان عندنا مجلس ادبي او شبه اكاديمي لالقينا عَلَى عاتقه هذا الامر . اما ولا اكاديمي لنا فهل تصدق الاحلام وتحمل الغيرة عَلَى اللغة العربية وادابها بعض ادبائنا في الشام ومصر عَلَى تأليف هيئة دائمة تعتني بترقية اللغة والمحافظة عليها وتكييفها بموجب الزمان والاحوال ؟

افضل ألاّ اقول شيئاً عن اشخاص الرواية او الرواية نفسها سوى انني حاولت ان ألج فيها طرفاً محدوداً من موضوع حيوي كبير في حياة الامم جمعاء – وحياة شرقنا عَلَى الاخص – ذاك هو الخلاف الابدي بين الاباء والبنين والتباين الدائم بين القديم والحديث . واذا لم يكن نصيبي منها سوى دفع بعض كتابنا الاوفر مقدرة مني في معالجة مواضيعنا الاجتماعية عَلَى تأليف الروايات التمثيلية فقد نلت غايتي

اذا شئنا ان نرفع آدابنا من المستنقعات التي تتمرغ فيها فعلينا ان نسعى من الان لوضع اساس متين للمسرح العربي بتربية اذواقنا التمثيلية وتعزيز الرواية الوطنية ، حتى اذا نهضنا كانت « نهضتنا » نهضة جبار أفاق من نوم طويل لا نهضة عاجز فتح عينه ليرى الموت امامه

طرائف عربية

قدم أوس بن حارثة الطائي وحاتم الطائي عَلَى الملك النعمان بن المنذر · فقال لصديقه أياس بن قبيصة الطائي مستفهماً

— ايهما افضل ؟ فقال أياس

— ابيت اللعن ، ايها الملك ، اني من احدهما ، ولكن سلهما عن انفسهما فانهما يخبرانك ·

فدخل عليه أوس فقال له النعمان — أنت افضل أم حاتم ؟ فقال

— ابيت اللعن ان ادنى ولد حاتم أفضل مني · ولو كنت انا وولدي ومالي لحاتم لأنهبنا في غداة واحدة ·

ثم دخل عليه حاتم · فقال له

— أنت افضل أم أوس · فقال

— ابيت اللعن ان ادنى ولد أوس لافضل مني ·

فقال النعمان — هذا والله السوءدد ·

* * * * *

اجتمع الشيخ محيي الدين ابن العربي مع العلامة الشهاب السهروردي لاول مرة · فاطرق كل واحد منهما ساعة ثم افترقا من غير كلام · فقيل للشيخ ابن العربي

— ما رأيك بالسهروردي ؟ فقال

— مملوء سنّة من قرنه الى قدمه ·

وقيل للسهروردي

— ما تقول في الشيخ محيي الدين · فقال

— هو بحر الحقائق ·

* * * * *

وقف رجل من العامة بالاديب ابي العيناء الاعمى · فأحس به فقال — « مَن هذا ؟ » فاجابه — « هذا رجل من بني آدم » فقال ابوالعيناء — « مرحباً بك اطال الله بقاءك ونعمت في الدنيا ما ظننت هذا النسل الا قد انقطع · »

* * * * *

لما خرج عبد الرحمن الاموي من البحر أول قدومه الاندلس اتوه بخمر ليشرب فأبى وقال

— اني محتاج لما يزيد في عقلي ، لا لما ينقصه ·

فعرفوا من ذلك قدره ·

ثم اهديت اليه جارية جميلة فنظر اليها وقال

— ان هذه لمن القلب والعين بمكان · وان انا لهوت عنها بهمتي في ما اطلبه ظلمتها · وان لهوتُ بها عما اطلبه ظلمت همتي · فلا حاجة لي بها الان فردها عَلَى صاحبها

* * * * *

قال علي بن ابي طالب لعامر بن مرّة الزهري

— مَن احمق الناس ؟

فاجابه — من ظنّ انه اعقل الناس

فقال علي — صدقت · فمن اعقل الناس ؟

فاجاب — من لم يتجاوز الصمت في عقوبة الجهال ·

* * * * *

كانت سلمى بنت القراطيسي من اهل بغداد مشهورة بالجمال والادب· ومن شعرها قولها في نفسها

عيون مها الصريم فداء عيني ... وأجياد الظباء فداء جيدي
أزيّن بالعقود وان نحري ... لأزين للعقود من العقود
ولا أشكو من الأوصاب ثقلاً ... وتشكو قامتي ثقل النهود

فبلغت هذه الابيات المقتفي امير المؤمنين فقال

— اسألوا هل تصدق صفتها قولها ·

فقالوا — ما يكون أجمل منها ·

فقال — اسألوا عن عفافها ·

فقالوا — هي أعف الناس ·

فارسل اليها مالاً جزيلاً · وقال

— تستعين بهذا علَى صيانة جمالها ورونق بهجتها وعفافها

* * * * *

كانت عائشة بنت طلحة لا تستر وجهها ، وهي من أجمل نسآء قريش· فلما تزوجها مصعب بن الزبير كلمها في ذلك فقالت

— ان الله تعالى وسمني بميسم جمال فاحببت أن يراه الناس · والله ما بي وصمة استتر لها ·

الملكة نيتوكريس

(★ انظر الصورة التاريخية في هذا الجزء ★)

* * *

حكم المؤرخون بان اقدم ملكة تبوأت عرشاً وساست رعيتها باستقلال هي الملكة المصرية نيتوكريس أو نت — اكور — تي حسبما ورد اسمها في الآثار المصرية القديمة · وهي ملكة حكمت مصر زمان كانت تلك البلاد القديمة مملكة زاهرة مستقلة يحكمها فراعنة تعنو لهم ملوك البلاد المجاورة · اما زمان حكم هذه الفرعونة فهو بعد ملك خيوبس باني الهرم بستة اجيال تقريباً ·

تخبرنا الاساطير المصريه القديمة ان زوج نيتوكريس الملك خرّ قتيلاً بدسيسة دبرها المتآمرون عليه من اشراف مملكته · فلما رأت نيتوكريس ان حكم القضآء قد جرى علَى زوجها ولا قبل لها بمعاندته تظاهرت بانها راضية عن مقتله فسالمت قاتليه وقرّبتهم منها وانعمت عليهم لتأمن جانبهم فأذنوا لها ان تتبوأ عرش زوجها وتحكم عوضاً عنه ·

وعقيب ان نودي بها ملكة علَى مصر غادرت عاصمتها علَى سفينتها الملوكية وابحرت في النيل فقضت اشهراً مع حاشيتها ومقربيها تتلهى بالصيد والقصف· وانصبت هناك علَى اقامة المآدب الفخمة وعكفت علَى اللهو والطرب والتلذذ

بنعيم الدنيا حتى لم يشك احد في فرحها لمقتل زوجها . ولم تكن في الحقيقة على شيء من ذلك وانما كانت تفعل ما تفعله ليطمئن بال المتآمرين ويعدلوا عن حذرهم منها . وقد نجحت حيلتها فلم يمض زمن قصير حتى استأنس القتلة بها وطرحوا حجاب تكتمهم فعرفتهم فرداً فرداً فتمكنت منهم واخذتهم جميعاً على غرة وأمرت بقتلهم .

وبعد ان أخذت بثار زوجها انتحرت حزناً ويأساً اذ لم تطب لها الحياة بدونه .

والتاريخ ينبئنا ان حكم نيتوكريس كان خاتمة عصر مصر الذهبي القديم . فقد نشبت في البلاد بعد موتها فتن لم يكن لها ختام قادت البلاد الزاهرة الى الدمار والوبال فتمزقت المملكة شذر مذر وانقسمت البلاد الى امارات صغيرة يحكمها ملوك طوائف لم ينكفوا عن محاربة بعضهم بعضاً حتى خرب القطر وهلك الناس من الفتن والنكبات . وامسى الشعب في حالة يرثى لها يئن تحت ثقل مصائبه وجور ملوكه ، ويحن الى تلك الايام القديمة التي لم يكن ينوشه فيها الظلم من هنا وهنالك ولا يقاسي الا عتو فرعون واحد

الصورة التاريخية



ملكة النيل = المصور هانس ماكارت

(الملكة نيتوكريس المصرية تقيم حفلة صيد على النيل احتفالاً بتسنمها العرش)

زنبقة الغور

رواية اجتماعية متتابعة

بقلم

امين الريحاني

ملخص ما نشر سابقا

مريم ابنة الراعية ساره من الراهب ايلياس البلان هربت من دير الايتام في الناصره لما قاسته من الاضطهاد ولجأت الى القس جبرائيل مبارك فوضعها تحت رعايته وهو صديق قديم لامها وادخلها بيت اخيه جرجي مبارك للخدمة · وهنالك هام بها عارف مبارك ابن صاحب المنزل فطفقاها ووعدها بالزيجة · وقدم المنزل ابن عمه ايوب مبارك ضيفا فاعجب بحسن مريم فقصد غرفتها ليلا ليطارحها الغرام ففاجأه عارف وقتله غيرة وهرب · فأتهمت مريم بالجريمة واعترفت وهي في السجن بما جرى للقس جبرائيل فانقذها بنفوذه وسار بها تاركا ديره الى طبرية ليستر عارها · وهنالك اقام واياها في بيت منفرد عند الحمامات المعدنية على مقربة من المدينة ريثما تلد وأقام لها خادمة اسمها هيلانة كانت غاوية فهداها واحسن اليها ولكنها لم تصدقه التوبة · فلما ولدت مريم سرقت هيلانة طفلها ليلا بايعاز امها الشقية واخفته عندها · فوقع القس جبرائيل في حيرة مما جرى

تابع ما قبله

(الفصل العاشر)

ليس في العناصر الطبيعية وقواها ما يستمر ابداً ثائراً ، او يستقر ابداً هادئاً · وليس في قوى الانسان ومقاصده ما يخالف النواميس الطبيعية · تطمو السواقي والانهار ، ثم ترسب ، ثم تغور ، ثم تجف ، ثم يبعث الله فيها

ماء الحياة لتعيد على مسمعه نشيد التراوح الابدي بين الحب واليأس ، والثبات والتردد ، والخيبة والامل . وكذلك في الانفس البشرية ، وفي السامية منها خصيصاً . تملأها المقاصد النبيلة نوراً ، تكللها المساعي الشريفة آمالاً ، يعلو بها الايمان والاحسان الى ذروة الالهيات فتنور هنالك سوسناً ذهبياً . ثم يبعث الله من لدنه رسولاً لا يفرق بين فصول السنة ومراحل السالكين ، ولا بين سوسن الربى وزنابق الغور ، ولا بين سواقي الجبال والانفس البشرية

ونفس القس جبرائيل الفائضة حباً واحساناً اخذت بعد ان سُرق الطفل ان ترسب وتغور . فلقد وصل في جهاده الى محجة تعجز النفس ان تتجاوزها مهما تعاظم عزمها دون ان يعترضها عارض يوقفها قليلاً فتستريح ثم تستأنف السير والسعي ناشطة مطمئنة . واما الحادث المحزن هذا فبدل ان يوقف القسيس اقعده ، واسكنه ، وزعزع من العزم والايمان .

لقد فكر لاول وهلة ان يبحث عن الطفل علّه يظفر به فيعيده الى امه . وراح صباح ذاك اليوم ووجهته الحمامات قصد الاستقصاء . ثم انثنى عن عزمه واحجم آسفاً يائساً . وتاه في الحقول والجبال معظم النهار يساجل نفسه في الامر وهو يحس منها وهناً واضطراباً .

من يوم تولى شأن مريم واخذ على عاتقه امر تربيتها لم يهدأ له بال ولم تَصفُ له حال من الاحوال . خلصها من الدير فوقعت في اشراك اشر من اشراكه واخبث . فجاهد في سبيلها دون ان يحفل بوشايات الاقارب والاخوان وبتنديد النساء والرهبان . ثم خلصها من السجن وفادى بمنصبه وبنفوذه من

اجلها . بل اقتبل الفضيحة والعار وخرج من الدير قبل ان ينتصر على خصومه فيه — خرج منه مدحوراً مذموماً وجاء بالفتاة يعيش واياها على شاطىء البحيرة متنكرين . جاء يستر عارها ويعينها طاقته على مشقة قدسها الله فيداوي نفسها ونفسه الكليمتين ويكفر نوعاً عن ذنب ابن اخيه

ولقد اعياه الجهاد في الناصرة واسقمه ضجيج الناس وقد اسكرتهم احاديث الافك والفسق والافتراء . ففر من المجتمع البشري هارباً يناجي الله في البرية ويستمد منه تعالى ما يعينه في بلاياه .

وها الاقدار ثانية تعيد الكرة عليه . فآثر معقوله هذه المرة على شعوره ولم يحرك في سبيل الطفل المفقود ساكناً . وقد يستغرب مثل ذا التصرف من القس جبرائيل . ولكنه لا يستطيع في ذا الوقت ان يثير في طبريا ما هرب منه في الناصرة . فان له في مريم قصداً يستوجب الستر والتنكر واذا لجأ الى الحكومة ينفضح امره ويخذل لا شك في مسعاه .

ولقد شاهد فوق ذلك من شقاء البنين والامهات ما يُعذر في نظره السكوت عن سرقة طفل وُلد اثماً وحراماً . وعاد الى البيت يسلي نفسه بمثل ذي التأملات ويبرئها بمثل ذا المنطق الفاسد . اعياه الجهاد فتعلل ببؤس العباد . وصرح متأوهاً تبارك عقم الرمال ! تبارك عقم البحار

وعوّل ألاّ يبحث عن ولد مريم وان يكتم امر سرقته عن الناس وكان ذلك مستحيلاً . فالقابلة نشرت الخبر في البلد وأم هيلانة لتصرف عنها عيون الشبهة وتضيف اثماً الى اثم اشاعت انها سمعت احد النوتيين يقول انه

شاهد تلك الليلة رجلاً على الشاطىء قبالة مدرسة اليهود قرب الحمامات يرمي في البحيرة طفلاً باكياً . فانتشرت الاشاعة وتجسمت حتى اصبحت عند الناس يقيناً . وقالوا محققين ذلك ان هذا الغريب لا يكتم مثل ذا الحادث الرهيب حادث السرقة ولا يسكت عنه لو لم يكن هو الجاني على الطفل وامه . بل قال احمد يخاطب محموداً في القهوة — لهذا الرجل على الفتاة معه ثأر يا محمود وقد قتل ابنها ورماه في البحيرة انتقاماً منها واشاع انه سرق ليبرىء نفسه . وهذا معقول .

ومرّ اسبوعان والقس جبرائيل يعلل مريم بالولد ولم يشأ ان يطلعها على الخبر قبل ان تشفى تماماً . ولكن هيلانه بعد ان قابلت امها جاءت يوماً تخبر مريم انها سمعت الناس يقولون أن سيدها رمى الطفل في البحيرة ليلة وُلد . فبهتت مريم بين تصديق وتكذيب وسارعت الى القس جبرائيل جائشة القلب تسأله ان يصدقها الخبر وتلح في طلب ولدها .

— أصحيح الخبر . قل لي . قل لي .

— ومن اخبرك ؟

— هيلانة .

وكان قد نما الى القس جبرائيل شيء من هذه الاشاعات .

— اريد ان ارى ولدي الان — هذه الساعة . قل لي من هي المرضعة فاذهب بنفسي اليها . او ابعث هيلانة الان تجئني به . هيلانة ! يا بنت !

— اسمعي ، يا مريم ! سابعثها . سكني روعك .

ودخل القس جبرائيل البيت فاعطى هيلانة اجرتها وهو يكظم اغتياظه منها وقال .

— لم نعد في حاجة الى خدمتك ، يا بنت . روحي في سبيلك الله يصلحك ويوفقك .

وراح يردد في نفسه — هذا جزاء الاحسان . هذا جزاء المعروف

وولى النهار ولم تعد هيلانة فازدادت مريم قلقاً واضطراباً . فنهضت باكراً وهي لم تنم تلك الليلة تطالب القس جبرائيل بولدها وتبكي .

— ما بالك لا تتكلم ؟ اذاً انا ابحث عنه — انا افتش عنه . وهمت مريم بالخروج من البيت .

— الى اين ؟ الى اين ؟ تعالي اخبرك . اجلسي وسكني روعك .

— ابني ولدي ، اين هو ؟ ولماذا لم ترجع هيلانه ؟

— ، بنتي ! سلمي الى الرب امرك . الرب اعطى والرب أخذ .

— مات ! مات ولدي ! وجعلت تلاطم خديها وتنتحب .

— لتكمل مشيئة الرب ، يا بنتي .

فصاحت مريم — كذاب ، كذاب ! انت قتلته . انت رميته في البحيرة . صدقت هيلانة . صدق الناس . انت . انت يا قس جبرائيل —

وهجمت عليه هجوم اللبوة على صائد اصطاد شبلها . فصاح بها مريم !

— لا يخوفني صياحك . لا ترهبني نظراتك . ابني مات وانت قتلته . انت رميته في البحيرة . ويلك يا قس جبرائيل من ربك ! ويلك مني ! والله

ساشكوك الى الحكومة ساخبر الناس . سارفع صوتي في كل مكان . الى الله اشكوك — أهذا معروفك يا سيدي ؟ أهذه طريق خلاصك ؟ ليتني لم اعرفك . ليتني بقيت في الدير . انت جررت عليَّ البلاء . انت سبب فضيحتي في بيت اخيك . وجئت الان تقتل ابني وترميه في البحيرة . وما ذنب الطفل ؟ ليتك قتلتني انا . اقتلني . اقتلني وألحقني بولدي بفلذة كبدي . اسمعوا يا ناس ! هذا الرجل قتل ولدي ورماه —

— مريم مريم

— لا اسكت . لا اسكت . سابكي وانتحب واشكو الى ان ترد اليَّ ولدي ، الى ان يسمعني الناس فيجازونك ، الى ان يسمعني الله فيأخذ بثاري منك

— مريم . قفي ! قفي اكلمك .

وامسكها بيدها يصدها عن الخروج وأقفل الباب .

— اسمعي اخبرك حقيقة الحال — ابنك سُرق من البيت ليلة وُلد

— كذب ! كذب ! انت قتلته .

— وسنبحث عنه فنلقيه ان شاء الله

— كذب . كذب . تلقيه في البحيرة ؟ انت رميته في البحيرة .

— مليح . انا رميته في البحيرة . فاعملي ما يخطر لك . وفتح اذ ذاك الباب .

روحي . روحي واتركيني في بلائي وحدي . ما بالك وقفتِ ؟ ما بالك سكتِ ؟ آه يا مريم لو علمتِ ما انا فيه . لو علمتِ ما انا اقاسي

من اجلك . لو علمتِ ما انا ادبر لكِ . مريم ، بنتي ! سكني روعك . وانصتي الى كلامي . الحياة يا مريم لعنة في الارض — لعنة هي الحياة . خير لي لو لم تلدني أمي . خير لكِ لو لم تلدك امك . امك ! أتعرفينها ؟ اباكِ أتعرفينه ؟ ألم تلعنيهما امامي مراراً ؟ كذلك ولدكِ المولود بالاثم يلعنك . المجتمع البشري لم يزل ينظر الى مثلك وابناء مثلك نظر الامير الى عبيده . والحكومة لا تمتعكم بشيء من حقوق الانسان . تعيشون مذمومين ، منبوذين ، بائسين ، يائسين . وحقاً لكم ان تعيشوا مثل اسيادكم الادعياء في مجتمع نخر السوس عظامه وألبسه الظلم ثوب الجلاد . مريم ، بنتي . لا يحرمونك الحقوق الاجتماعية والمدنية والدينية فقط بل يفسدون عليكِ حقوقك الطبيعية . يقول لكِ الكاهن — ولدتِ بالاثم فالجحيم مأواكِ . ويقول لك القاضي — ولدت خارج الشرع فلا حقوق لك في مجتمع شرعه سلطان . ويقول لك عبيد العادات والتقاليد — ولدت في الفسق والشقاء فافترشي الفسق حياتك وألبسي الشقاء حتى مماتك . اما انا وليّك ، ابوك ، اخوك ، صفيك ، فاقول لك يا مريم ولدت كما تلد الازاهر ، وكما تلد الاطيار ، وكما تلد مخلوقات الله جمعاء ، فلا احرمك عطفي وحبي وولائي الى ان يحرمك الله نور شمسه . لا انبذك يا مريم الى ان تنبذك الشمس وينبذك القمر . فاشكري الله الان على خلاصك . ولا تسترسلي الى الحزن فتنتكسي . انا لكِ ما زالت لي قوة تساعدني على السعي في سبيلك — في سبيل سعادتك . جئت بكِ هذه الناحية لاقيك شر الناس ، لانقذك من

البلاء والعار · وقد فزنا بشيء من رغبتنا والحمد لله · ليس لبشر كل ما يريد في الارض · كم من امهات يلدن ويحزن ساعة الولادة ! بل كم من امهات يمتن في الولادة ! وكم من امهات يربين اولادهن ويفقدنهم وهم في عنفوان الشباب ! وكم من بنات تبتلين مثلك فلا يجدن مأوى يأوين اليه ولا من يعطف عليهن ويمد اليهن يداً بيضاء · فاشكري ربك ، يا بنتي · ما زلت معك لا يمسك شر ان شاء الله ·

— واي شر اكبر من هذا الشر ! ليتك تركتني في عاري ، في بلائي ، فاتعزى في الاقل بولدي ·

— لتعزيك الان سلامتك ، يا بنتي ·

— لا كانت سلامتي — لا كانت ·

ولزمتها اذ ذاك نوبة عصبية فأغمي عليها وسقطت الى الارض فنهض القسيس بها يعالجها حتى استفاقت ولزمت ذاك اليوم فراشها · ثم اخذت بعدئذ تقضي حاجات البيت وقلما تفوه بكلمة · وظلت اسبوعاً على هذا الحال · تخرج ووليها الى النزهة على شاطىء البحيرة او في منحدرات الربى فتنصت لارشاداته وتمتثل اوامره وهي ساكنة مطرقة · وفي ذات يوم سألته عن عارف مبارك ، فقال لها انه بعث يبحث عنه في حيفا فلم يجده وقد كتبت الى اخي يوسف وهو الان في سوريا علّ ابنه يكون هناك وكتبت ايضاً الى مصر — فعسى ان يجيئني جواب مرض من احدى البلادين قريباً

— يا قس جبرائيل —

— نعم يا بنتي

فنظرت مريم اليه ساكتة وقد ترقرقت عيناها بالدموع · فطايبها وحاول ان يستطلع ما تفكر به فلم تتكلم ، كأن ما في نفسها من الغم والحسرة اوقع السكتة في لسانها · وظلت كذلك اياماً لا تدري ما تصنع وما تقول ، كأن شيئاً رهيباً غير حزنها على ولدها بدأ يشغل قلبها ويضرم فيه نيراناً زادها السكوت التهاباً · فتسمع في النهار تأججها وتكاد ترى في ظلمات الليل شرارها

والقس جبرائيل وهو لا يدري لسذاجة فطرية فيه ان الفتاة تسيء فهم كلامه ولا تهتدي الى الصواب في تصرفه كان يواظب على خطته صابراً ، متجلداً ، متيقناً ان سعادة مريم موكلة بها · فخاطبها مرة يقول

— لِمَ هذا السكوت يا بنتي ؟ ما بالك لا تكلميني ؟ لِمَ انتِ دائماً يائسة ؟ ألم اخلصك من السجن ؟ ألم انقذك من الموت ؟ ألم اخرج من الدير واتنكر في هذه الاثواب من اجلك ؟ ألم اقتبل الفضيحة والعار حباً بك ؟ ألم أبذل ما بوسعي لاعيد اليك طهارة ماضيك ؟ لقد اخطأت مرة وجل من لا يخطأ · وسوف لا تخطئين ثانية باذن الله · فقد ذقتِ مر الحياة —

فقاطعته مريم قائلة — نعم وذقت حلوها ايضاً · ووقع عندئذ نظرها على نظره فارتعشت نفسها بل احست بسحر عينيه يجري في عروقها كلها فيسكن آلامها ، بل شعرت بلذة غريبة من مجرد نظراته تلك الساعة · فاخذها بيدها واجلسها الى جنبه قائلاً

— حلو الحياة يزول يا بنتي ، وذكراه حينما يزول تؤلم · اما مر الحياة فيلازمنا الى القبر · حقيقته وذكراها كلتاهما مكربة مريعة · كلتاهما توجع وتغم · وليس اشقى من المجرمين غير البائسين الذين يولدون خارج الحظيرة · يولدون ونير العبودية عَلَى رقابهم · يلعنون في المهد · يرهقون في المدارس · ينبذون في المجتمعات · ويساقون الى المآثم والجرائم · ألا تذكرين كيف عوملتِ في الدير ؟ فلو كان لكِ اب يكرمكِ وام ترعاكِ لما شقيتِ يا بنتي · فلا تحزني ولا تجزعي · روحي الى طبريا تشاهدي هناك شقاء البنين والامهات · مريم ، اني احبك · احبك من صميم قلبي · واود صالحك · وانشد سعادتك · واسعى في سبيلك طاقتي · احبك ابنة لي واختاً · ولقد نجوتِ الان من البلاء والعار وستكونين رفيقتي ان شاء الله في هذه الوادي وادي الدموع · ستقيمين معي ان شئتِ وستلاقين دائماً ما يسرك ويرضيك · سيفتح الله طريقاً لكِ تتنعمين فيها · واذا كنتِ تتضجرين مني ولا تريدين الاقامة قربي فسيكون لكِ من تحبين · ولكني اقسم بالله انني لما اكون قربكِ اشتم شذاء نفسك فانتعش · وارى في عينيك نوراً يشع في فؤادي فيدفئه · النور يا بنتي · في النور خلاصنا · في النور سعادتنا · شذا الورد خير من الوردة · خيال الشجرة قصيدة حبها · انغام الاطيار ألذ ما فيها · انتِ الان ابنتي · ولي في ظلكِ ونوركِ ونغمات صوتك وطيب شذاك ما يخفف امالي فيك ان شاء الله · لا · لا · لن اعود بكِ الى الدير · فاني اعلم منكِ باسراره وخباياه · ولكني اعد لكِ في سويداء

قلبي مركزاً لا تمسه يد بشرية ولا تدنسه الاهواء والشهوات · في الحياة الروحية ، يا مريم ، وفي البعد عن الناس وعن الاديرة تمام السعادة · وان لكِ بيتاً عَلَى شاطىء هذه البحيرة في هذه الارض المقدسة تقيمين فيه ومن تحبين · لا اخالك تجهلين ، يا مريم ، ما اقاسيه في مناهضة الميول السافلة وفي مكافحة الشهوات · هاتي يدكِ ارفعك الى الذروة التي وصلتِ اليها · انظري اليَّ · هاتي يدكِ ارفعك فوق ما فيك وفيَّ من اثار بربرية وغرائز حيوانية · لا شيء يدوم ، يا مريم ، غير الروح وآثارها السامية · اللذات تزول يا بنتي ولا يزول قرفها ، ولا تزول سوء مغبتها · ما بالك ؟ ألا يروقك كلامي ؟ أتتضجرين مني ؟ تكلمي ولا تخافي · ألا تريدين ان تبقي معي وان تقيمي في الاقل بجواري ؟ انا مدبر لك ما يرضيك في الحالين · فلا تتبرمي ، ولا تستسلمي الى السكوت واليأس والسوداء ·

— ليس في طاقتي · ولا اعرف كيف اعبر عما في قلبي · فلا تؤاخذني اذا سكت ·

— ولكني اود ان اصرف افكارك عن حزنك · فان التفكر الدائم في ما كنت فيه يضرك ·

— الموت خير لي من الحياة · ولو فهمت معنى كلامك فلا افهم معنى ما في نفسي · وما في نفسي يكاد يقتلني ·

— اعترفي لي بذلك ، يا بنتي ، ولا تخافي · الاعتراف مرهم للقلوب الكليمة

— وكيف اعترف لك وانت سبب حسرتي وبلائي · منذ عرفتك

يا سيدي منذ رأيتك اول مرة منذ اخذت يدي بيدك · سرى اليَّ منك شيء عجيب لا اعرف ما هو نوَّر فؤادي وفتح عينيَّ وبدَّد غيمة اثقلت وقتئذٍ نفسي واظلمتها · ولم يزل ذاك الشيء العجيب ينمو فيَّ ويزعجني · يعذبني وبالاخص حينما اكون قربك ·

وسكتت مريم هنيهة محنية الرأس ثم نظرت اليه نظرة حادة صافية كأنها فازت عَلَى ما يقيد نفسها ويضغط عليها وقالت — أتريد ان تعرف ما في اعماق قلبي ? أتريد ان تطلع عَلَى رغبتي ? أتريد ان تعرف سبب حزني وكمدي وحسرتي ? أتريد ان اريك نفسي التي تحترق وتحرق كل جسمي ?

— تكلمي · تكلمي · ولا تخافي ·

— بل اخافك · واشعر عندما اكون قربك كأني واقفة عَلَى شفير الهاوية · وفيها ما يجذبني اليها ويحببني بعمقها وبظلماتها · فهل تخطىء الفتاة اذا اظهرت ما في قلبها ، اذا اعربت عن رغبةٍ تحرقها وتحرمها النوم ?

وسكتت مريم تنتظر جواب القسيس فلم يفه بكلمة · ثم قالت — ألم تدرك معناي ? ولدي · ولدي · انت سلبتني ولدي · انت قتلته ورميته في البحيرة ·

— لا تعيدي هذا الكلام يا مريم · لا تعيديه ·

— أتنكر ان ولدي مات · اذاً — وهذه رغبتي — اسأل الله ولداً بدله واسألك انت انت — اطلب منك ·

ولكنها حجبت وجهها عنه وطفقت تبكي · ثم جثت عند قدمي القسيس

وأخذت يده تقبلها وتقول — سامحني · واغفر لي · انا ابنة خاطئة · انا امرأة ضعيفة · فقيرة · حزينة · وحيدة · ليس لي في العالم غيرك · سامحني · ساظل معك · ساكون خادمتك · بل عبدتك · ساذهب واياك حيث شئت ·

— انهضي يا بنتي · الله يغفر لكِ ويباركك · انهضي · آمني بالله · آمني بنفسك · آمني بي · الايمان يا بنتي يذلل كل ما في الحياة من الاهواء المهلكة والاميال · آمني بالله وبنفسك التي هي من عنده تعالى · وفكري بمن مشى عَلَى هذه البحيرة وقدَّس بخطواته وبكلماته هذه الربى · فكري بالمريمات اللواتي رفعهنَّ الايمان الى روحيات السيد المسيح · اسمعي يا بنتي · سنبقى هنا بضعة ايام ثم ننتقل الى بيتي في سهل المغير · واذا كنت لا تحبين الاقامة هناك نسافر الى لبنان فنقيم هنالك في ظل الارز في تلك الجبال المقدسة وعسى ان يجيئني قريباً جواب من سوريا فنلتقي هنالك بعارف او ابعث استدعيه الينا ·

فاجابت مريم برأسها بالايجاب وهي دفينة غمها · واقاما في ذاك الكوخ عَلَى شاطىء البحيرة اسبوعاً آخر كان القسيس فيه يظهر لمريم اضعاف ما عودها من العطف والحب والحنان ولكن مريم لم تجد في ذلك تعزية لنفسها او مرهماً لقلبها ·

وفي ذات ليلة نهضت من فراشها تهرب من نار ليلها الآكلة ومشت الى الجهة التي ينام فيها الراهب فرأته متربعاً في فراشه منكساً رأسه كان يصلي ولم يرَها فاصبحت واجفة · خجلة · وعادت الى فراشها ذليلة · وفي اليوم

الثاني نهضت عَلَى عادتها واليأس مالكها والذبول يحجب وجهها · فراحت تهيم في البرية وتقول — سئمت لطفه · سئمت كرمه · سئمت معروفه · سئمت تقواه · سئمته · مللته كرهته ·

وفي ذاك اليوم سافر القس جبرائيل الى تلحوم ليرى اذا كان جاءه جواب من سوريا او من مصر · وبينا مريم عائدة الى البيت من نزهتها مرّت بالحمامات فشاهدت بعض السياح قادمين من سمخ · فوقفوا هناك ليتفرجوا عَلَى الحمامات · فسمعتهم مريم يتكلمون الافرنسية فألقت الى الامرأة بينهم السلام وعرضت عليها خدمتها — أتريدي ان تتفرجي عَلَى الحمامات ؟ « پارايسي مدام »

فاستوقفت نظر السيدة الافرنسية وقد أعجبت بها · فسألتها مازحة اذا كانت تحب ان تسافر معها الى فرنسا فتخدم في بيتها هنالك ·

فاجابت مريم عَلَى الفور بالافرنسية — « وي مدام آفك پليزير » ·

فقالت السيدة وقد اعجبت بمريم كثيراً — تعالي الى النزل في طبريا سأسافر بعد يومين الى حيفا ومنها الى مصر ·

— « وي مدام آفك بليزير مدام »

ولما عاد القس جبرائيل من تلحوم كانت مريم تنتظره في البيت وقد اعدت العشآء · فاخبرها انه بعث رسولاً الى اخيه في سوريا وسيعود بعد اسبوع · وانه بعد يومين ينقل واياها الى البيت في سهل المغير ·

— ما بالك لا تجيبين ؟

— ارادتي في يدك ·

— حسن · حسن يا بنتي · ليباركك الله ·

وفي اليوم التالي شخص القس جبرائيل الى سمخ لقضآء حاجة تختص باملاكه في السهل فاستغنمت مريم الفرصة وذهبت الى النزل في طبريا لتقابل السيدة الافرنسية · وبعد ان استطلعت هذه شيئاً من امرها وتحققت رغبتها أوعزت اليها ان تجيء صباح الغد باكراً فتسافر معها الى حيفا ومنها في المسآء الى مصر · فعادت مريم مستبشرة بقرب خلاصها فرحة بالسفر الى فرنسا مع سيدة جليلة افرنسية · ولما وصلت الى البيت كان القسيس يضرم النار في الموقد ليسخن شيئاً من الطعام · فسألها — اين كنتِ فاجابت كنت في طبريا ·

— وما غرضك هناك يا بنتي

— التفرج والنزهة ·

فسكت القس جبرائيل ثم قال — لا تروحي مرة ثانية وحدك الى ابعد لو اظهرتِ لي رغبتك لرافقتك · وتناول واياها العشآء مسآء ذاك اليوم وهو مسرور بما شاهد في نفسها من الخفة والبشاشة · ومسرور بقرب رجوع رسوله يحمل اليه واليها خبراً من اخيه يوسف مرضياً ·

ونام تلك الليلة مطمئن النفس ناعم البال ولكنه طلب مريم في صباح اليوم الثاني فلم يجدها ·

—(الفصل الحادي عشر)—

من عادات اكابر الفرنسيس وخاصة منهم اكابر الطبقة الوسطى طبقة ال « بورجوازي » انهم يستخدمون في بيوتهم لتربية اولادهم المربيات الاجنبيات وقد امست العادة هذه زياً تجري عليه ربات البيوت و يُغرقن فيه ، حتى ان الواحدة منهنّ لتفاخر اترابها بتعدد اولئك المعلمات في بيتها · فتذكر مس جسي مثلاً مربية ابنها الانكليزية اذا ذكرت سيَّارتها الجديدة · وتشير ازدهاء الى رأي السنيورا كارولينا معلمة ابنتها الموسيقى اذا تكلمت عن الرواية الاخيرة في ال « أپرا » وتثني عَلَى فرولن شمت المعلمة الالمانية اذا ذكرت المناوشة الاخيرة بين الالمان والفرنسيس في نسي او في متز · ولا تنسى مس الله اعلم الاميركية معلمة اولادها ال «جمنستيك » والرقص اذا كان الحديث في المال والازياء الاخيرة · وفي اكثر الاحايين تدور عَلَى الاولاد من كثرة المعلمات الدوائر · وتدور عَلَى السيدة ربة البيت ايضاً اذا كان زوجها ضجراً ملولا وكانت المعلمة قد خصت بشيء غير العلم ·

اما مدام لامار فارملة لا زوج لها غير الاحسان · هي من السيدات الافرنسيات المتدينات اللواتي يوقفن عَلَى المستشفيات والاديرة في الشرق الاموال الطائلة ويحسنّ الى رجال الدين عندنا احساناً جماً متواصلاً · وهي تحب سوريا خاصة وابناءها · وتحب ان تقيم فيها وابنها الوحيد · لذلك شاءت ان تعلمه اللغة العربية · ولما جمعتها الصدفة بمريم وعلمت انها يتيمة وانها تحسن اللغتين العربية والافرنسية ماجت في صدرها ثلاث عواطف

متباينة · فقالت في نفسها اولاً — « مسكينة هذه الفتاة » والشفقة في ذوي الاحسان عاطفة مطبوخة حاضرة · ثم قالت « نِعم المعلمة لفرنسوا » · ثم همست في قلبها — « وسافاخر اترابي بمعلمة شرقية سورية »

ولقد احبت مدام لامار مريم وأعجبت بذكائها · ولما وصلت الى الاسكندرية مكثت فيها بضعة ايام تنتظر الباخرة الافرنسية وابتاعت للفتاة من حاجات اللبس والسفر ما يجعلها اهلاً لرفقتها · فلبست مريم المشد والقبعة ذات الريش والحذاء العالي الكعب · وسرت سيدتها بشكلها الجديد وأعجبت بارتياحها في الزي الافرنجي كأنها اعتادته صغيرة · وبينا كانت واياها في السوق دخلت الى مكتبة تبتاع بعض الجرائد الافرنسية والمجلات فسألتها اذا كانت تحب المطالعة فاجابت بالايجاب · فاشترت لها رواية تأليف فرنسوا كپه ورسائل مدام دِيستال وكتاب « سياحة في الشرق » للامرتين · فتناولت مريم الرزمة من صاحب المكتبة وسألته قائلة — « وهل عندك كتب عربية ؟ » فهز رأسه ازدراء · فتعجبت مريم — فقالت مدام لامار يظهر ان الكتب العربية لا تباع في البلاد الانكليزية

— واين تباع ؟ في فرنسا ؟

— أصبتِ · فقد اشترينا الكتب الافرنسية في مصر · وسنشتري الكتب العربية في باريس ·

فلم يعجب مريم ذا التهكم من سيدتها · وبينا هما سائرتان في شارع شريف باشا ، ومريم ، وقد استفزتها الغيرة الوطنية تحدق في شبابيك المخازن

علها ترى هناك كتاباً عربياً ترفع به شأن وطنها في نظر السيدة الافرنسية ، لاح لها في احد الازقة الى جانب الشارع الكبير جرنال عربي معلق بشريطة تحت صف من الزجاجات وفيها التبغ والسكاير وعلب الكبريت وانواع الابازير · فطرقت وسيدتها تلك الناحية فاذا هناك دكة او بالحري دكان فيه شاب يكاد من ضيق ما هو فيه لا يستطيع حراكاً · ووراءه رفوف بعض الكتب مرصوصة بين صناديق من الكرتون عهدها اقدم من «العهد القديم»

فقالت مريم مستبشرة — وهل عندك كتاب عربي ؟

— نعم · عندي ·

وسحب الشاب رزمة من خلال تلك الصناديق ونفض عنها الحديث من الغبار وفكها يعرض الاجزاء · فاستوقف نظر مريم عنوان احد الكتب فاخذته تقلب في صفحاته · فقال الشاب

— ذوقك سليم والله · ذوقك جميل · اهم كتاب طبع في هذه الايام · وقد احدث ضجة في العالم العربي · واقام العالم الاسلامي واقعده · موءلفه من نوابغ الزمان · كتاب نفيس والله · ينبغي ان تطالعه كل امرأة شرقية · جاءني منه نسختان في الشهر الماضي ولم يبق غير هذه التي بين يديك · خذيها · فلا تندمي · طالعيها تستفيدي ·

فاشترت مريم كتاب « تحرير المرأة » وراحت تترجم لسيدتها ما قاله الشاب فيه · فضحكت مدام لامار لسذاجة الشرقيين او ما يظنه الافرنج سذاجة فينا وهي تفكر بكتاب وصف هذا الوصف وما بيع منه في شهرين

سوى نسختين ·

— يحق لك ان تفرحي · فقد ظفرت بكتاب عربي

— نعم ·

ووقفت مريم اذ ذاك تنظر وراءها كأنها رأت بين العابرين من تعرفه ثم توارى في مزدحم الناس · فسألتها سيدتها ما بالك فاضطرب عليها · ومشت ترافقها الى شركة البواخر الافرنسية · فقضت مدام لامار حاجتها هناك · وركبت العربة تعود الى النزل · ولم تكد مريم تستقر فيها الى جنب سيدتها حتى رأت الشاب ثانية وهو داخل الى مكتب الشركة فصاحت على الفور « مدام مدام ! » كأنها تنادي احد رجال الشحنة · فاوقفت مدام لامار العربة تقول !

— هل نسيت شيئاً · فقالت مريم لا لا · وراحت تردد في نفسها — ما اشبهه به يا ربي ما اشبهه به

المصائب اذا تعددت ينسخ بعضها بعضاً · يزيل اللاحق منها السابق او يخفف اهواله · والفرح الشديد ينسي اجل الخطوب · لما فجعت مريم في ولدها نست عارفاً · ولما جدّ في حالها ما جدّ من سفرها مع السيدة الافرنسية نست القس جبرائيل وما قاسته في الناصرة وعلى شاطىء البحيرة من الشدة والعذاب · وما كان النسيان فيها غير ضرب من الرقاد يزول اذا لمسته الصدف بقضيب سحرها · ولما امست في الباخرة في اليوم الثاني هبت العاصفة في صدرها عاصفة الحب والذكرى لمجرد وجه رأته في مزدحم يموج بالالوف

من الوجوه البشرية · فندمت لانها لم تكلم ذاك الغريب لتحقق ظنها · ووقفت عند الغروب في موءخر الباخرة تتكىء عَلَى الحافة وتنظر كئيبة حزينة الى زبد الامواج تحتها · ثم اخذت من صدرها الذخيرة التي اعطاها اياها القس جبرائيل ففاح منها اريج مروج الجليل وأسمعتها هديل حمام البحيرة فطفقت تقبلها وتبكي · وبين هي كذلك كان احد المسافرين يتمشى عَلَى ظهر الباخرة ويراقبها خلسة ، وكان قد رآها اصيل ذاك النهار تصعد الى الباخرة فراقه جمالها واشكل عليه امرها ·

وقرع اذ ذاك جرس المائدة فمسحت مريم دموعها وما كادت تميل بوجهها حتى تراءى لها الوجه الذي ابصرته في المدينة — وجه من كان يراقبها· فاعترتها رعدة أغشت بصيرتها فهتفت قائلة — هل هو بعينه يا ربي أم أنا واهمة ؟ ولكنها حينما جلست الى المائدة رأته جالساً امامها فزالت دهشتها·

فدهشت مريم لهذه المبادرة واجابته بصوت شجي تتمازج فيه أنفة مع غير الشاب الذي رأته في الاسكندرية · وفي اليوم الثاني بينما كانت جالسة في كرسيها عَلَى ظهر الباخرة تطالع في كتاب « تحرير المرأة » اقترب منها فخاطبها بلهجة لا يجسر ان يخاطب بها سيدة افرنجية · فقال دون ديباجة او اعتذار — اظنك من مصر ·

— فدهشت مريم لهذه المبادرة واجابته بصوت شجي تتمازج فيه أنفة مع لطف ومعروف · لا يا خواجا · لست من مصر ·

— لمن لبنان اذاً ·

— ولا من لبنان ، بل من فلسطين

— ولماذا كنتِ تبكين مسآء البارحَ ؟ هل من حاجة لكِ اقضيها ؟

— لا حاجة · كثر الله خيرك ·

وقالت في نفسها — ما ألطف هذا الشاب ، وما اجمل معروفه · ولكنها لم تدرك شيئاً من وراء ذينك اللطف والمعروف ·

نجيب افندي مراد من اسرة كريمة غنية في بيروت شبيه صيتها بصيت بيت مبارك في فلسطين · وهو من الشبان الاغنيآء الذين يسافرون كل عام الى باريس ليذوقوا الحديث من لذاتها · ولكنه سئم ما اعتاده هناك وملّه وصارت نفسه تصبو الى كل مستغرب جديد · ولما علم ان مريم مسافرة والسيدة الافرنسية الى باريس ازدادت رغبته بها ووطن النفس عَلَى اعلاقها· فرمى الشبكة عَلَى عادته في مثل ذي المواقف وطفق يعالجها بلطف يتخلله المبتذل من التغرير وبراعة تتراوح بين الادب والتمويه · ومعشر النسآء قلما يدركن كنه الانين اذا كان الصائد دقيق الحيل وقلما يميزن بين معروف هو ارجوحة للنفس منشأه كرم الاخلاق ومعروف هو احبولة للجسد ، فكيف بفتاة قروية ساذجة ·

عَلَى ان مريم ، وان تكن من البنات اللواتي لا يطيب لهنَّ عيش مجرد من الحب بعد ان يعرفنه فيعدن اليه راغبات مستهلكات رغم ما يقاسين منه ، وان تكن من الشرقيات اللواتي يتلجلج في انفسهن روح النساء البابليات، بل تحتدم في عروقهنَّ شعلة من تلك النار التي كانت تضرم في الهياكل!

السورية قديماً ، فقد قاست من سذاجتها واستهتارها ما علمها شيئاً من «صرف» الحب . فصارت تعرف بعض مفرداته وتراكيبها ، وتدرك بعض افعاله واوزانها . وتستطيع فوق ذلك ان تصرف في بعض الاحايين ما لا ينصرف منها . فلو عاشت مريم في قديم الزمان — زمان الالهة — زمان الشعر والجمال والطهارة الدينية — لكانت من ربات الهيكل — هيكل الغرام — تعبد فيه وتقدم على مذبحه ضحية ذكية . ولكن الزمان هدم الهيكل وحفظ المرأة . فهل يجعلها اسيرة الوراثة اليوم وكانت قديماً اسيرة الدعارة ? جواب الدين على ذا السؤال سؤال آخر معروف وهو — وهل ينبت العوسج تيناً . اما العلم فيقول وان كان العوسج لا ينبت تيناً فقد ينبت تدريجاً بواسطة التربية نبتاً ارقى من العوسج فيثمر ثمراً احسن من التين . واعجب ما في نشوء الاخلاق واطوارها ان الخلة الموروثة قد تضعف فتصير كالخلق المكتسب ، والخلق المكتسب قد يتوطد فيصير كالخلة الموروثة . ولعمري ان افراطاً في الحب يقرن الى سذاجة في الخلق ليكسب صاحبه من التجارب ما يجعله سيداً على الموروث فيه من الطباع والمكتسب . هذا اذا كان فطناً نبيهاً ، عزوماً طموحاً ، حافظاً ذاكراً ، فلا ينسى اليوم حساب الامس ولا يرضى من الغد بما رضي به اليوم .

اذا كانت مريم قد استأنست بنجيب افندي مراد الذي استمر اثناء السفر يحدثها ويناغيها . ويتقرب منها . فقد كانت تزين كلماته وسلوكه بالميزان الذي اصطنعه لها القدر في بيت يوسف مبارك بالناصرة — هذا اديب

ولكنه رجل . حسن الوجه ، حسن السلوك ، حسن الحديث — ولكنه رجل . يرف حولي كطير الحمام ، خفيف جنحيه كالنغم الرخيم في قلبي — ولكنه رجل : ثم قالت مستشهدة على عادتها — ولا بأس به وان كان رجلاً

وجعلت تباحثه في موضوع الكتاب الذي تطالعه فتزعجه تارة وتارة تدهشه وتضحكه

— اذا كانت المرأة اضعف عقلاً من الرجل فالسياج ينفعها ولا يضرها والحجاب نوع من السياج

— وهل تفادين بحريتك خوفاً من عواقبها .

— لا . ولكنني لا اركب الفرس الشموس قبل ان أسرجها والجمها . الحرية فرس شموس ذللها الرجل ولم تذللها المرأة . او ليس خيراً للمرأة الشرقية في حالتها اليوم ان تركب لغايتها جحشة سهلة الانقياد ، لا ترعبها اذا كبت واذا سقطت لا تضرها .

— ولكن المرأة التي استعبدها الرجل احقاباً من الزمن —

— اراك تردد كلام هذا المؤلف الذي يكثر في كتابه من ذكر العبودية — عبودية المرأة ، ما هي يا ترى العبودية ? انا لا اعرفها . اذا خدمت فاخدم راغبة ، واذا احببت فاحب راغبة ؛ واذا جننت فاجن راغبة — اعمل دائماً ما اريد ، وما عرفت هذه العبودية التي . . . .

— ستعرفينها عندما تتزوجين .

— وهل العبودية في الزواج ? اذاً لا اتزوج . والمرأة التي تعرف وتؤكد

ان الزواج عبودية وتتزوج راضية لايحق لها ان تشكو العبودية · والرجل الذي يتولى الدفاع عنها وهي قانعة بما هي فيه راضية ، فاما ان يكون قليل الادب طفيلياً ، واما ان يكون منافقاً ·

— أجد هذا منك ام مزاح ؟

— وهل في مثل ذا الموضوع باب للمزاح ؟ اقصى العجب من امرأة تلبس الحجاب رغم انفها · وترضى بظلم الرجل كرهاً منها

— وماذا كنتِ تفعلين لو كنتِ من اولئك البائسات السجينات ؟

— امزق الحجاب بيدي ولا اكلف رجلاً الدفاع عني والرثاء لحالتي · عشر نساء يسرين سافرات الوجوه في شوارع المدينة خير من مئة كتاب يكتب في سبيل تحريرهن ·

وجاءت اذ ذاك مدام لامار فرأت مريم تحدث الشاب الغريب فاستدعتها اليها تسأله عنه ·

— لا يجب ان تحدثي احداً لا تعرفينه يا مريم ·

— ولكنه عرّفني بنفسه وهو شاب اديب من بيروت — نجيب افندي تفضلي مدام اعرفك به

فدهشت السيدة الافرنسية وانقبضت لذي الحرية في الفتاة وذي السذاجة · وافهمتها بعدئذ ان السيدات لا يعرفن بالرجال وانما الرجال يقدمون الى السيدات

— كان ينبغي لكِ ان تستأذني اولاً فاذا أذنت تعرفين الشاب قائلة — اسمحي لي ، مدام ، ان اقدم اليكِ فلاناً ·

فاعتذرت مريم اليها ووعدت ان تعمل في المستقبل باشارتها

وجعل نجيب مراد يتقرّب من السيدة ويجاذبها اطراف الحديث فراقها منه كياسة تكاد تكون افرنسية وعلمت من احد المأمورين في الباخرة ان الشاب من اسرة سورية كريمة ، كثير المال ، كثير التجوال · ولم تنتهِ مدة السفر حتى تدرّج نجيب الى قلب مريم والى اكرام سيدتها · فلما رست الباخرة في مرسيليا كان فرنسوى لامار على الرصيف ينتظر امه · وفرنسوى شاب لا يتجاوز الخامسة والعشرين من سنه ، قصير ، لحيم ، ناصع البياض ، بليد البادرة · وبعد ان حيته امه وعانقته قدمت مريم اليه تقول — جئتك بمن يعلمك اللغة العربية — فرنسوى ابني يا مريم ·

ثم عرّفت ابنها برفيق السفرة احد اعيان سوريا نجيب افندي مراد · فتصافح الاثنان وتبادلا المبتذل من عبارات السلام والسوري يتأمل الشاب ويفكر بمريم · فقال في نفسه لا خطر في وجه سمين ويد باردة · ثم اعطته مدام لامار بطاقتها ·

— ينبغي ان تزورنا في باريس ·

— اتشرف مدام ·

وودعهم نجيب مراد مطمئن البال يهنىء نفسه بنجاح الدور الاول من مشروعه · وبعد اسبوعين زار مدام لامار في بيتها وجالس مريم برهة يسألها عن حالها

— وهل انتِ راضية بمهنتك مسرورة ؟

فهزت مريم كتفها ·

— وهل علمتِ سيدك قام زيد ؟ وضرب عمرو زيداً ؟

فابتسمت ابتسامة الضجر ·

— وهل تأذن لكِ سيدتك بالخروج الى المدينة ؟

— يوماً واحداً في الاسبوع — يوم الجمعة ·

— وهل خرجتِ تتفرجين عَلَى باريس ·

— آذنتني مدام ان ارافق الخادمة شرلت الى البلد · فاخذتني الى قصر فخم يدخل اليه الناس واحداً واحداً مثل المعزى بين قضيبين من الحديد · والبوليس مثل الراعي يراقبهم ويعدهم · ولكن القصر من داخل جميل غريب · رأيته غاصاً بالناس وله مصطبة يحجبها ستار من المخمل كبير · امامه اناس يصوتون بآلات من النحاس كبيرة ويضربون عَلَى الدف والطبل وقد انتصب بينهم رجل بيده قضيب يرقص ويهول به كالمجنون · ثم رفع الستار عن بنات يرقصنَ ويغنينَ ويلعبنَ والرجال · لم افهم من لفظهم ورطاناتهم شيئاً ولكن رقص البنات أعجبني · الله ما ابرعهنَّ وما ألبقهنَّ · تقف الواحدة منهنَّ عَلَى رؤوس اصابعها هكذا (وخلعت مريم حذاءها وحاولت التقليد) فتنتقل كالعصفور وتدور مسرعة كالبلبل دون ان تقع

« لها بقية »

وقع خطأ في السطر الثاني عشر من قصيدة « النهر المتجمد » المنشورة في صفحة ٧٨٣ وصوابه -- هل اجمدتك كآبتي وسئمت ندبي والنواح

فكاهات

— كيف انتقم منها —

وقف الحبيبان للوداع عند الباب في ليلة مقمرة · فتنهد الشاب — وكان عَلَى وشك السفر — وقال

— لن انساكِ يا حبيبتي مهما جرى · واذا حانت منيتي في البعد واتى ملاك الموت لقبض روحي فستكون افكاري الاخيرة موجهة نحوكِ

فانتحبت الفتاة والقت بنفسها عَلَى صدره وقالت بصوت مضطرب

— وانا سأظل امينة لك يا حبيبي ؛ ولن اميل الى سواك حتى الموت

ثم افترقا · وعاد الشاب من سفره بعد ست سنوات فوجد حبيبته قد تزوجت سواه · وجمعته الصدف بها في احدى الحفلات فرآها قد تغيرت كثيراً · ولما انتهى الرقص تقدما ليتعارفا · فتفرست فيه غير مبالية تستعيد الى ذهنها ذكرى قديمة واهية ثم قالت مستفهمة

— نست ادري · أأخوك ام انت الذي كان عشيق صباي · فاجابها الشاب — لا انا ولا اخي ، بل ذاك والدي

— حسن الادب —

الصبي — اماه انظري ما اطيب هذه الحلوى التي اعطتنيها احدى السيدات في الحديقة ·

الام — عساك ان تكون قد شكرتها بلطف واظهرت حسن ادبك

الصبي — قد فعلت ذلك يا امي

الام — وماذا قلت لها ؟

الصبي — قلت لها « ليت والدي تعرّف بك قبل ان يتعرف بامي · »

— في السوق الخيرية —

بائعة الازهار — ألا تشتري زهرة يا سيدي

الشاب — لا · شكراً لك

بائعة الازهار — ألا تشتري زهرة لزوجتك

الشاب — ليس لي زوجة

بائعة الازهار — اذن فاشترِ زهرة لحبيبتك

الشاب — ليس لي حبيبة

بائعة الازهار — اذن فاشترِ زهرة افتخاراً بحسن طالعك ·

فاشترى الشاب الزهرة مسروراً

* * * * *

قدم طنوس وغنطوس الديار الاميركية سوية وافترقا في نيويورك · فقطن غنطوس قرية علَى الشاطىء الباسيفيكي واقام فيها يعيش بتقتير لانه

كان بخيلاً · وفي ذات يوم اتته رسالة ليس عليها طابع بريد · فتقاضاه الموزع الرسم مضاعفاً وتركه يشتم ويصخب · وفضّ غنطوس الرسالة فاذا فيها ورقة كبيرة وفي وسطها هذه الكلمات « انا مبسوط — صديقك طنوس » فاحتدم غيظه من هذه المداعبة وعزم علَى ان يكيل لصديقه الصاع صاعين

وبعد اسبوع وصلت الى طنوس في نيويورك رزمة ثقيلة فدفع اجرتها عدة دولارات · وفتحها فاذا فيها حجر كبير وعليه ورقة مكتوب عليها —

« عزيزي طنوس — كنت مضطرب البال لانقطاع اخبارك عني فوصلتني رسالتك فازاحت عن صدري حملاً ثقيلاً يشبه هذا الحجر · »

— تنقيح الشريعة —

جلس احدهم ليكتب وصيته فافتتحها بهذه العبارة —

« ليكن معلوماً لدى كل امرأة ···· » فاستوقفه محاميه وقال له — لقد اخطأت في ما كتبت · ألا تدري ان النص الصحيح النظامي هو — « ليكن معلوماً لدى كل انسان » فأجابه الموصي — انا اعرف ذلك · ولكن ما الفرق ؟ ألا تدري انه اذا عرفت كل امرأة ما اريد قوله فلا يبقى انسان على وجه البسيطة لا يعرف ذلك ·

· · · ·

— وهل نجحت السوق الخيرية التي وقفتم ريعها علَى الكنيسة

— وأي نجاح · لا شك ان قسيس الكنيسة يبيت ناعم البال مسروراً من نتائجها ·

— ولماذا ؟ هل كانت ارباح السوق عظيمة ؟

— لا ٠ السوق لم تربح بل كانت مصاريفها اكثر من مدخولها ٠ ولكن عشراً من اوانسنا الحسان اللواتي تطوعن لخدمة السوق خطبهن عشرة من شباننا الاغنياء وعما قريب يتم العرس وينال القسيس قسمته من كل زواج يعقده ٠

— بين صديقين —

ماري — غداً متى تزوجت ستنكسر قلوب رجال كثيرين

حنة — ولماذا ؟ ألعلك مزمعة ان تتزوجي اكثر من واحد ؟

*****

الاب — دعيني اعانقك يا بنية واهنئك فقد اتاني صديقنا الشاب جورج طالباً يدك للزواج ٠

الفتاة — ولكني يا ابتاه لا أود مفارقة والدتي

الاب — هذا أمر سهل حله ٠ لا بأس اذا ذهبت والدتك برفقتك

*****

اللص — (مخاطباً المحامي الذي انقذه من السجن) استودعك الله الآن سازورك عما قريب ٠

المحامي — حسناً ٠ ولكن اجعل زيارتك في النهار

*****

اعطى ماري أبوها ربع ريال فاخذته وهمّت ان تمضي لتشتري به خلويات فقالت لها امها

— لماذا لا تقتصدين وتتبرعين بما معك للمنكوبين ٠ فاجابتها البنت

— قد افتكرت بذلك ٠ ولكني رأيت الافضل ان اشتري الحلويات وادع بائعها يتبرع بالربع للمنكوبين ٠

*****

أحست زوجة بطرس الشابة ان حب زوجها قد برد بعد العرس ٠ فان بطرس أخذ يتأخر كل ليلة وكان لا يأتي البيت لمناولة طعام العشاء واذا حضر قبل الطعام فلا يمسه معتذراً بفقدان القابلية ٠ فذهبت الى احدى العجائز الساحرات وشكت اليها امرها وتوسلت اليها ان تعطيها مرهماً او حجاباً ينفع في ارجاع حب زوجها ٠ فوصفت لها العجوز الداهية هذه الوصفة

— خذي من اللحم الهبر ثلاث اواق ودقيها في الجرن دقاً ناعماً ثم اخلطيها بثلاث اواق من البرغل الناعم المنقى المجبول ودقيها معاً حتى تصبح كتلة واحدة مختلطة الاجزاء ثم مديها في اناء مدهون بالسمن وصبي على سطحها اوقية من نقي السمن وضعي الاناء نحو نصف ساعة في فرن هادىء النار ٠ وبعد ان ينضج ما فيه أخرجي هذا الدواء واجبري زوجك ان يأكل منه ملء صحنين او ثلاثة بعد ان تسقيه كأساً او كأسين من العرق فيبرأ باذن الله ويعود الى حبك ٠

وكان ان امرأة بطرس اتقنت طبخ هذا المرهم وسواه من المراهم التي اشارت بها العجوز فزال العارض عن بطرس وصار يأتي كل ليلة الى البيت لتناول طعامه من المراهم ٠



منخل الشيطان

(بواسطته يتحول العنب والشعير والبطاطا وماشا كل الى مسكرات كالنبيذ والعرق والبيرا والوسكي فتنبجس منه انهارا وتغرق البشر)



« العمياء والعرجاء » ـ تمثل هذه الصورة السلم والعدالة



ولسن بقفزة واحدة ينخرط في صفوف الاحلاف



شيطان الحرب يقدم السيف لأميركا وهي ترفضه قائلة ـ اذهب عني ياشيطان

صيدلية شركة فلسطين

صنف		
١٥	جربوا	الشربة العجيبة للرجال والنساء والاطفال اشتهرت بلذتها وفعلها الغريب
٢٥	»	حبوب الدكتور فنديك مسهلة ملينة تزيل وجع الرأس والدوخة
٥٠٠	»	حبوب خصوصية لتقوية الاجسام الضعيفة
٢٠٠	»	الشربة الهندية للدودة الوحيدة مكفولة
٢٥	»	البودرا التي تزيل الشعر من الجسم والمكفولة من كل ضرر
٥٠	»	صبغة الشعر الخالية من حجر جهنم والمكفولة انها تعطي الالوان المطلوبة من اي لون شئت
٢٥	»	البودرا الشهيرة الخالية من كل غش والتي تستعمل للجنسين «الجنس اللطيف والجنس القشيط» وهي دواء شاف لعرق الرجلين

لدينا سائر اصناف الروائح الشهيرة على تعدادها

لا تتعجبوا بالختام اذا قلنا اكتشفنا دواء جديداً لنمو الشعر في الراس وتقويته وليس على الذين يريدون انماء شعرهم الا ان يجربوا دواءنا هذا العجيب فيحققوا صدق ما نقول والتجربة خير برهان .

عندنا دواء مشهور يزيل النمش والكلف من الوجه .

ومن المرطبات لاجل الصيف جميع المشروبات مع ايس كريم اميركاني وايس كريم سوري مع الفستق .

مدير الشركة

فلاديمير حلبي

PALESTINE DRUG CO.

28 RECTOR STREET **NEW YORK**

TELEPHONE { 5116 4984 3090 } RECTOR

موكو البوسطه

الى تجار اميركا الجنوبية

— محل ميخائيل عريضه في نيويورك —

قد وسع دائرة اشغاله المعروفة واصبح يتعاطى تصدير البضائع الاميركية من جميع اصنافها الى سائر الانحاء

وهو مستعد

أن يقوم بخدمة كل المحال التجارية السورية في اميركا الجنوبية والوسطى وجزائرها استعداداً يرضي اصحاب البيوت الكبيرة والصغيرة التجارية

مقدرة هذا المحل المالية ،

وخبرته بالسوق الحالية ،

ومعرفته الاصناف المرغوبة ،

وتسوقه البضائع من معاملها رأساً ،

جعلته ان يحوز ثقة كثير من المحال التجارية الكبرى في اميركا الجنوبية في وقت قصير

فاكتب اليه

مستعلماً — أو مستشيراً — أو طالباً — أو مجرباً .

ولك الخيار بعد ذلك ان تعامله او تعامل سواه

MICHAEL N. ARIDA

118 W. 22nd Street New York

في حياتك الزوجية

— اعلان مفيد —

السيدة الحاذقة ملكه نفش هي قابلة رسمية حائزة عَلَى الشهادة من حكومة نيويورك في فن التوليد · وقد مارست عملها بنجاح مدة سنوات طويلة اكتسبت بها اقبال الجمهور ورضاهم ·

وهي تنشر هذا الاعلان لتعلم الجمهور انها مستعدة لتلبية كل سيدة ليست قادرة عَلَى الدفع · وهذا عنوانها ·

—(ملكه نفش)—

98 Court St. Brooklyn, N. Y.

— مكتبة الشعب في لورنس ماس —

(لصاحبها خليل فارس المنير أنشئت سنة ١٩١٠)

بعونه تعالىَ وبهمة ابناء الوطن الكرام قد اصبحت مكتبة الشعب عروسة المكاتب العربية الشهيرة في المهجر وهي الان حاوية عَلَى جميع اجناس الكتب العربية والانكليزية من تواريخ وروايات غرامية وادبية ودينية وقصص فكاهية وكتب اسلامية عَلَى اختلاف انواعها نصرفها باسعار زهيدة ترضي من يريد ان يجرب معاملتنا وعَلَى الله الاتكال ·

K. F. MONAYER

305 Oak St. Lawrence, Mass.

محلنا هو

معرض السجاد العجمي والتركي الاصليين وطريقتنا في المعاملة معروفة عند اصدقائنا التجار في السجاد · اما المقدرة فللناس ان يحكموا فيها · وكل ما نقوله اننا نرضي وقادرين عَلَى مرضاة المستقيمين والمجتهدين

—(نعمه تادرس)—

N. TADROSS & CO.

225 Fifth Avenue, New York, N. Y.

Telephone 8885 Madison Square.

الفنون

AL-FUNOON

AN ARABIC REVIEW OF LITERATURE AND ARTS

Published Monthly by

Al-Funoon Publishing Co.

55 Broadway,

New York

ANNUAL SUBSCRIPTION $5.00

FEBRUARY 1917

VOL. II NO. 9

"Entered as second class - matter June 16, 1916, at the Post Office at New York, New York, under the act of March 3, 1879"